كتاب عنقاء مغرب
في ختم الأولياء وشمس المغرب

بسم الله الرحمن الرحيم وبه ثقتي وهو حسبي[1]

قال الشيخ الإمام العالم العارف بالله أبو عبد الله محمد بن علي بن محمد بن العربي الحاتمي الطائي الأندلسي قدّس الله روحه بجاه محمد وآله[2].

الوعاء[3] المختوم على السرّ المكتوم

حَمَدْتُ إِلٰهِي والمَقَامُ عَظِيمُ ... فَأَبْدَى سُرُوراً والفُؤَادُ كَظِيمُ
وَمَا عَجَبِي مِنْ فَرْحَتِي كَيْفَ قُورِنَتْ ... بِتَبْرِيحِ قَلْبٍ حَلَّ فِيهِ عَظِيمُ
وَلَكِنَّنِي مِنْ كَشْفِ بَحْرِ وُجُودِهِ ... عَجِبْتُ لِقَلْبِي والحَقَائِقُ هِيمُ
كَذَاكَ[4] الَّذِي أَبْدَا مِنَ النُّورِ ظَاهِراً ... عَلَى سُدَفِ[5] الأَجْسَامِ لَيْسَ يُقِيمُ
وَمَا عَجَبِي مِنْ نُورِ جِسْمِي وإِنَّمَا ... عَجِبْتُ لِنُورِ القَلْبِ كَيْفَ يَرِيمُ[6]

(١) في النسخة (ط): (وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلّم).
(٢) في النسخة (ط): [قال سيدنا وإمامنا وقدوتنا الشيخ الإمام العالم العارف الكامل المحقق المدقق محيي الدين أبو عبد الله محمد بن محمد بن علي بن محمد العربي الطائي الحاتمي، الأندلسي رضي الله عنه وأرضاه، وحقق تابعيه بسلوك منهجه القويم. إنه جواد كريم].
(٣) في النسخة (ط): (الدعاء).
(٤) في النسخة (ط): (لذاك).
(٥) سدَف: السُّدْفة والسُّدْفة: اختلاط الضوء والظلمة جميعاً كوقت ما بين صلاة الفجر إلى أول الإسفار. (انظر: **لسان العرب**، مادة: سدف).
(٦) **الرَّيْمُ**: البراح، والفعل: رام يريم، إذا بَرَحَ.
والرَّيْمُ أيضاً: التباعد.
والرَّيْمُ: الزيادة والفضل.
(انظر: **لسان العرب**، مادة: ريم).

فَإِنْ كَانَ عَنْ كَشْفٍ وَمَشْهَدِ رُؤْيَةٍ ... فَنُورُ تَجَلِّيهِ عَلَيْهِ مُقِيمُ
تَفَطَّنْتَ فَاسْتُرْ عِلَّةَ الأَمْرِ يَا فَتَى ... فَهَلْ رُئِيَ خَلْقٌ بالعَلِيمِ عَلِيمُ(١)
تَعَالى وُجُودُ الذَّاتِ عَنْ نَيْلِ عِلْمِنا(٢) ... بِهِ عِنْدَ فَضْلٍ والفِصَالُ قَدِيمُ
فَفُرْقَانُ(٣) رَبِّي قَدْ أَتَانِي مُخْبِراً ... بِتَعْيِينِ(٤) خَتْمِ الأَوْلِيَاءِ كَرِيمُ
فَقُلْتُ: وَسِرُّ البَيْتِ صِفْ لِي مَقَامَهُ ... فَقَالَ: حَكِيماً يَصْطَفِيهِ حَكِيمُ
فَقُلْتُ: يَرَاهُ الخَتْمُ، فَأَنْشَدَ(٥) قَائِلاً: ... إِذَا مَا رَآهُ الخَتْمُ لَيْسَ يَرُومُ
فَقُلْتُ: وَهَلْ يَبْقَى لَهُ الوَقْتُ عِنْدَما ... نَرَاهُ، نَعَمْ والأَمْرُ فِيهِ جَسِيمُ
وَلِلْخَتْمِ سِرٌّ لَمْ يَزَلْ، كُلُّ عَارِفٍ إِلَيْهِ ... إِذَا يَسْرِي(٦) عَلَيْهِ يَحُومُ
أَشَارَ إِلَيْهِ التِّرْمِذِيّ بِخَتْمِهِ(٧) ... وَلَمْ يُبْدِهِ والقَلْبُ مِنْهُ سَلِيمُ
وَمَا نَالَهُ الصِّدِّيقُ فِي وَقْتِ كَوْنِهِ ... وَشَمْسُ سَمَاءِ الغَرْبِ مِنْهُ عَدِيمُ
مَذَاقاً وَلَكِنَّ الفُؤَادَ(٨) مُشَاهِدٌ ... إِلَى كُلِّ مَا يُبْدِيهِ وَهْوَ كَتُومُ
يَغَارُ عَلَى الأَسْرَارِ أَنْ تَلْحَقَ الثَّرَى ... وَأَنْ تَمْتَطِيهَا الزُّهْرُ وَهْيَ نُجُومُ(٩)
فَإِنْ أُبْدِرُوا أَوْ أُشْمِسُوا فَوْقَ عَرْشِهِ(١٠) ... وَكَانَ لَهُمْ عِنْدَ المَقَامِ لُزُومُ
فَلَرَيْثَما(١١) يَبْدُو عَلَيْهِم شُهُودُها ... فَمِنْهُم نُجُومٌ لِلْهُدَى وَرُجُومُ(١٢)
فَسُبْحَانَ مَنْ أَخْفَى عَنِ العَيْنِ ذَاتَهُ ... وَنُورُ تَجَلِّيهَا عَلَيْهِ عَمِيمُ

---

(١) بمعنى: هل ترى أحداً من الخلق عليماً أو محيطاً بذات الحق، كلاً.
(٢) فعلمُنا قاصر على العلم به، أو أن ينال هذا العلم بشيء من كُنهِ هذه الذات. فهي تتعالى عن أن يعرفها أحد. وفي (ط): (علمه) وهو خطأ.
(٣) في النسخة (ط): (فرافق).
(٤) في النسخة (ط): (يتعين).
(٥) في (ط): (فاشتد).
(٦) في (ط): (سرى).
(٧) أي: كتاب الحكيم الترمذي (ختم الأولياء) وهو مشهور.
(٨) في (ط): (العقول).
(٩) نجوم: أي: (مفرّقة) مُنجّمة.
(١٠) في (ط): [فإذا أبدروا وأشمسوا فوق حرشه). والمقصود من أُبْدِروا، أو أُشمسوا: أي: طلعت عليهم تجليات أنوار (القطب) أو النبي (صلى الله عليه وسلم). فالبدر هو القطب عند الصوفية. والشمس هي الحبيب (صلى الله عليه وسلم).
(١١) في (ط): (فربما).
(١٢) النجوم هنا: مصابيح الهدى الأولياء الكبار.
والرجوم بمعنى: المرجومون مثل الشياطين.
ومعنى البيت: أن من ناله أنوار هذه النظرة بالرضا صار مصباحاً وهادياً، ومن كان مغضوباً عليه فقد صار شيطاناً رجيماً.

وَلَكِنَّه المَرْمُوزُ لاَ يُدْرِكُ السَّنَا[1] — وَكَيْفَ يَرى طِيبَ الحَيَاةِ سَقِيمُ

فَأَشْخَاصُنَا خَمْسٌ وَخَمْسٌ وَخَمْسَةٌ — عَلَيْهِم نَرَى أَمْرُ الوجُودِ يَقُومُ

وَمَنْ قَالَ إنَّ الأَرْبَعِينَ نَهَايَةٌ — لَهُم فَهُوَ قَوْلٌ يَرْتَضِيهِ كَلِيمُ

وَإِنْ شِئْتَ فَاخْبِرْ عَنْ ثَمَانٍ وَلاَ تَزِدْ — طَرِيقَهُمُ فَرْدٌ إِلَيْهِ قَوِيمُ[2]

فَسَبْعَتُهُم فِي الأَرْضِ لاَ يَجْهَلُونَها — وَثَامِنُهُم عِنْدَ النُّجُومِ لَزِيمُ

فَعِنْدَ فَنَا خَاءِ الزَّمَانِ وَدَالِه — عَلَى فَاءِ مَدْلُولِ الكُرُورِ[3] يَقُومُ

مَعَ السَّبْعَةِ الأَعْلاَمِ والنَّاس غُفَّلٌ — عَلَيْهِم بِتَدْبِيرِ الأُمُورِ عَلِيمُ

وَفِي الرَّوْضَةِ الخَضْرَاءِ رَسْمُ عِدَاتِها[4] — وَصَاحِبُها بِالمُؤْمِنِينَ رَحِيمُ

وَيَخْتَصُّ بالتَّدْبِيرِ مَنْ دُونَ غَيْره — إِذَا فَاحَ زهرٌ أو يَهِبُّ نَسِيمُ[5]

تَرَاهُ إِذَا نَاوَاهُ بالأَمْرِ جَاهِلٌ — كَثِيرُ الدَّعَاوَى أَو يَكِيدُ زَنِيمُ

فَظَاهِرُهُ الإِعْرَاضُ عَنْهُ وَقَلْبُهُ — غَيُورٌ عَلَى الأَمْرِ العَزِيزِ زَعِيمُ

إِذَا مَا بَقَيَ مِنْ يَوْمِهِ غَيْر[6] سَاعَةٍ — إِلَى سَاعَةٍ أُخْرَى وَحَلَّ صَرِيمُ[7]

فَيَهْتَزُّ غُصْنُ العَدْلِ بَعْدَ سُكُونِهِ — وَيَحْيَا نَبَاتُ الأَرْضِ وَهْوَ هَشِيمُ[8]

وَيَظْهَرُ عَدْلُ اللّه شَرْقاً وَمَغْرِباً — وَشَخْصُ إِمَامُ المُؤْمِنِينَ رَمِيمُ

وَثَمَّ صَلاةُ الحَقِّ تَتْرى عَلَى الَّذِي — بِهِ لَمْ أَزل فِي الحَالَتَيْنِ أَهِيمُ

أما بعد:

حَمْداً لِلَّه الَّذِي تَقَدَّمْ — والصَلاة الَّتي خَتَم بِها وَتَمّْ[9]

---

(١) السنا: أول الضوء وسطوعه..

(٢) في (ط): (طريقاً فرد إليه قويم) وفي (خ): (طريقتهم) والصحيح ما أثبتناه.
فالمقصود به (الطريق الواحد الثابت المستقيم الذي لا عوج فيه، وهو أقصر الطرق إلى اللّه).

(٣) **الكرور**: بمعنى التكرار.

(٤) في (ط): (وفي الروضة الخضرا اسم عداته).

(٥) في (ط): (إذا فاح زهراً ويهب نسيم).

(٦) في (ط): (نصف ساعة).

(٧) **الصَّريم**: الصبح لانقطاعه عن الليل، والليل لانقطاعه عن النهار. وفي القرآن: **﴿فأصبحت كالصريم﴾** أي: أصبحت محترقة فصارت سوداء مثل الليل، وهو من الأضدّاد.
وقيل: الشيء المصروم الذي ذهب ما فيه. (انظر: **اللسان** مادة: صَرَمَ).

(٨) **هشيم**: المقصود من البيت هو: عندما يعود العدل ويكثر ذكر اللّه تعالى في الأرض وتحيا العباد بالذكر، فتخضر أعوادهم كما يخضر نبات الأرض بعد أن كان هشيماً مثل عود الحطب.. لحديث النبي (صلى اللّه عليه وسلم):
(ذكر اللّه في الغافلين كالشجرة الخضراء وسط الهشيم).

(٩) في (ط) والمخطوط: (والصلاة التي ختم الحمد بها وتمم).

ويقول:

تَـدَبَّـرْ أَيُّـهَـا الحَبْـرُ الـلَّـبِـيـبُ[1] أُمُـوراً قَـالَـهـا الـفَـطِـنُ المُصِـيـبُ
وَحَـقِّـقْ مَـا رَمَـى لَـكَ مِـنْ مَـعَـانٍ حَـوَاهَـا لَـفْـظُـهُ الـعَـذْبُ الـعَـجِـيـبُ
وَلاَ تَـنْـظُـرْهُ فِـي الأَكْـوَانِ تَـشْـقَـى وَيَـتْـعَـبُ جِـسْـمُـكَ الـفَـذُّ[2] الـغَـرِيـبُ
إِذَا مَـا كُـنْـتُ نُـسْـخَـتُـهـا فَـمَـا لِـي أَرُوم الـبُـعْـد والمُـنَـى قَـرِيـبُ

تبيين الغرض من هذا الكتاب

إذْ كنا[3] ألفنا كتاباً روحانياً، وأنشأناه إنشاءً[4] ربانياً سميناه:

بـ (**التدبيرات الإلهية في إصلاح المملكة الإنسانية**)[5] تكلمنا فيه على أن الإنسان عالم صغير، مسلوخ من العالم الكبير. فكلُّ ما[6] ظهر في الكون الأكبر فهو في هذا العين الأصغر، ولم أتكلم في تلك الأوراق على مضاهاة الإنسان بالعالم على الإطلاق، ولكن على ما يقابله من جهة الخلافة والتدبير.

وبيّنت فيه ما هو الكاتب منه، والوزير، والقاضي العادل، والأمناء العاملون على الصدقات، والسفر، والسبب الذي جعل الحرب له بين العقل والهوى.

ورتبت فيه بين مقابلة الأعداء، ومتى يكون اللقاء[7]، ونصرته نصراً مؤزراً، وكونته أميراً مدبراً، وأنشأت فيه المالك[8]. وأقمت ببعض عالمه الحياة، وبعضها[9] المهالك.

وكَمُلَ[10] الغرض وأَمِنَ مَنْ كان في قلبه مرض، وكنت نويت أن أجعل فيه ما أوضحه تارة وأخفيه. وأين يكون من هذه النسخة[11] الإنسانية، والنشأة الروحانية، مقام

---

(١) **الحبر اللبيب**: أي العالم الكبير صاحب العقل.
(٢) في (ط): (القد).
(٣) في (ط): (كنا قد ألّفنا).
(٤) سقطت من (ط).
(٥) **كتاب التدبيرات الإلهية**، طبع ليدن ١٩٤٨، وعالم الفكر ١٩٩٨، وحققناه وسيصدر في المجلد الثاني من أعمال ابن عربي في مؤسسة الانتشار العربي ببيروت. (إن شاء الله).
أورد صاحب المخطوط (خ) كلمة (إصلاح) (اصطلاح).
(٦) في النسخة (خ) (كلما).
(٧) في (خ): (الانتصار).
(٨) في (ط): (وأنشأت الملك).
(٩) في (ط): (وببعضهم الملك).
(١٠) في (ط): (وكهل).
(١١) في (خ): (النشأة).

الإمام المهدي، المنسوب إلى أهل بيت النبي المقامي والطيني[1]؟ وأين يكون أيضاً منها ختم الأولياء وطابع الأصفياء إذ الحاجة إلى معرفة هذين المقامين في الإنسان آكد من كل مضاهاة من أكوان الحدثان.

لكني خفت من نزعة العدو الشيطان، أن يصرخ بي في حضرة السلطان، فيقول على ما لم أنوه[2] وأحصل من أجله في بيت التشويه فسترت بالغيران الشان[3] صيانة لهذا الجسمان، ثم رأيت ما أودع الحق فيه من الأسرار لديه، وتوكلت في إبرازه عليه.

فجعلت هذا الكتاب لهذين المقامين، ومتى تكلمت على هذا فإنما أذكر العالمين لتبيين الأمر فيه، للسّامع في الكبير الذي يعرفه ويعقله، ثم أضاهيه بسره المودع[4] في الإنسان الذي ينكره ويجهله، فليس من غرضي في كل ما أصنفه في هذا الفن معرفة ما ظهر في الكون، وإنما الأغراض ما أوجد في هذا العين الإنساني والشخص الآدمي.

فحقق نظرك أيها العاقل، وتدبر أيها الغافل، هل ينفعني في الآخرة كون السلطان مني عادلاً أو جائراً أو عالماً، لا واللّه يا أخي حتى انظر ذلك السلطان مني وإليّ، واجعل عقلي إماماً عليّ، وأطلب منه الآداب الشرعية في باطني وظاهري، وأبايعه على إصلاح[5] أولى وأخرى.

فمتى لم أجعل هذا نظري هلكت، ومتى أعرضت عن الاشتغال بالناس تمكنت من نجاتي وتملكت. إذ قد قال (صلى اللّه عليه وسلم) يخاطب جميع أمته: (**كلكم راعٍ وكلكم مسؤول عن رعيته**)[6].

فقد أثبت (صلى اللّه عليه وسلم) الإمامة لكل إنسان في نفسه، وجعله مطلوباً للحق في عالم غيبه وحسّه فإذا كان الأمر على هذا الحد، ولزمنا الوفاء بالعهد، فما لنا نفرّط في سبيل النجاة ونقنع بأحط الدرجات؟ ما هذا فعل من قال إنه عاقل! ويتجنب جميع هذه المعاقل.

---

(١) في (خ): (الماء والطين).

(٢) في (ط): (على ما لا أنويه).

(٣) غير واضحة في (ط)، و(خ).

(٤) في (خ): (المودوع).

(٥) في (خ): (اصطلاح).

(٦) حديث: «**كلكم راعٍ وكلكم مسؤول عن رعيته**». رواه الشيخان: البخاري ومسلم، وغيرهما عن عبد اللّه بن عمر (رضي اللّه عنهما). مرفوعاً.
انظر: **كشف الخفاء**، العجلوني، ٢/١١٥ حديث رقم (١٩٤٦).

فمتى ذكرت في كتابي هذا أو غيره حادثاً من حوادث الأكوان، فإنما غرضي أن أثبته في سمع السامع وأقابله بمثله في الإنسان، فلنصرف النظر فيه لذاتنا[١]، التي هي[٢] سبيل نجاتنا، فأمشيه بكليته في النشأة الإنسانية على حسب ما يعطيه المقام إما جسمانية، وإما روحانياً. فإياك أن تتوهم أيها الأخ الشقيق أن غرضي من كتبي كلها الكلام فيما خرج عن ذاتي من غير أن تلحظ فيه سبيل نجاتي.

فَمَا أُبَالِي إِذَا نَفْسِي تُسَاعِدُنِي ... عَلَى النَّجَاة بِمَنْ قَدْ فَازَ أَوْ هَلَكَا
فانظُر إِلَى مُلْكِكَ الأَدْنى إِلَيكَ تَجِدْ ... فِي كُلّ شَخْصٍ عَلَى أَجْزَائِهِ مَلِكَا
وَزِنْهُ شَرْعاً تَجِدْهُ كُلّ آوِنَةٍ ... واسْلُك بِهِ خَلْفَه مِنْ حَيثُ مَا سَلَكَا
وَلاَ تَكُنْ مَارِداً تَسْعَى لِمَفْسَدَةٍ ... فِي مُلْكِ ذَاتِكَ لَكِنْ فِيه كُنْ مَلِكَا[٣]

فلتتأمل يا وليّ في هذا الكتاب فإني أذكر الأمر في العالم الأكبر، وأجعله كالقشر، وأجعل ما يقابله من الإنسان كاللُّبلب[٤] للسبب الذي ذكرته أن يتبين للسامع ما يجهله، في الشي الذي يعرفه ويعقله، ولو وصل فهمه إليه دون ذكره إياه، ما لحظت ساعة حياة، ولا عرضت لمحة بارق على معناه، وإنما أسوقه مثلاً للتقريب، ومجالاً للتهذيب، وسأورد ذلك إن شاء الله تعالى في هذا الكتاب من لآلئ الأصداف، ونواشىء الأعراف، التي هي أمثالاً نصبها الحق للمؤمنين والعارفين، وحبالة صائد، وتحفة قاصد، وعبرة لبيب وملاطفة حبيب[٥].

بحر طامس وبحري غاطس فيه لآلئ الإشارات في أصداف العبارات فمن ذلك مفتاح حجة، وإيضاح مَحَجَّة

ولما لم يتمكن القاصد [إلى إعلاء المقاصد][٦] إلى البيت العتيق أن يصل إليه حتى يقطع كل فج عميق، ويترك الإلف والوطن ويفارق الأهل والقطن، ويهجر الخلة والولد، ويستوحش في سره من كل أحد، حتى إذا وصل الميقات خرج من رِقّ الأوقات، وتجرد[٧]

(١) في (ط): (فتصدق النظر فيه إلى ذاتنا).
(٢) في (ط): (الذي هو).
(٣) هذه الأبيات الأربعة جاءت في (ط) منثورة داخل الكلام العادي، ولم يُنتبه إلى أنها شعر.
(٤) في النسخة (خ): (كاللب).
(٥) في النسخة (خ): (وملاحظة حبيب).
(٦) ما بين المعقوفتين سقط من (ط).
(٧) في (ط): (وتجدّد).

من مخيطه، وخرج من تركيبه إلى بسيطه، وأخذ يلبي من دعاه، ونسي ما كان قبل ذلك وعاه، وصعد كذا ولاح له علم الهدى، ودخل الحرم محرم ولثم الحجر، وقبَّل وتذكَّر ميثاق الأزل، وطاف بكعبته، وأحاط بنشأته، وهكذا في جميع مناسكه يمشي على سالكه، فإن تجاوز المعنى، ووقف على حجه معنى، فذلك هو الحاج الذي يهنى، ولولا السآمة من قارئه لعرفتكم به منسكاً منسكاً إلى آخره.

وابتدأت في هذا الكتاب بنكتة الحج إذ معناه تكرار القصد، إلى الواحد الفرد، والقصد أول مقام لكل طالب سراً ومحاول أمراً، وأريد أن أضع لك في هذا الكتاب أسراراً وأرسل سماءها عليك مدراراً، فأوضحت لك أول قصدي وجعلته قصداً شرعياً ومقاماً جمعياً، فإنه إذا كان القصد بهذه المثابة وهو البداية، فما ظنك بالنهاية، وأين من يقدر قدر الغاية **﴿وما قدروا الله حق قدره﴾**[1] فألْقِ السَّمعَ واشهد الجمع.

أَقُولُ وروحُ القُدْسِ يَنفثُ في النُّفْسِ ... بأَنَّ وجودَ الحقِّ في العَدَد الخَمْسِ
أَيَا كَعْبَةَ الأشْهَادِ وَيَا حَرَمَ القُدْسِ ... أَيَا زَمْزَمَ الآمَالِ زِمّ عَلى النَّفْسِ
سَرَى البَيْتُ نحو البيت يبغِي وَصَالَهُ ... وطَهِّر بالتَّحْقيقِ مِنْ دَنَسِ اللُّبْسِ
فَيَا حَسْرَتِي يَوْماً بِبَطْنِ مُحَسِّرِ ... وَقَدْ دَلَّنِي الوَادِي عَلَى سَفَرِ الرِّجْسِ
تَجَرَّعْتُ بالجرعاء كَأْسُ نَدَامَةٍ ... عَلَى مَشْهَدٍ قَدْ كَانَ مِنِّي بالأَمْسِ
وَمَا خِفْتُ بالخَيْفِ[2] ارْتِحَالِي وإنَّما ... أَخَافُ عَلى ذِي النَّفْسِ في ظُلْمَةِ الرَّمْسِ[3]
لمُزْدَلِفى[4] الحُجّاجُ أَعْمَلْتُ يَا فَتَى ... لا نُعْمَ بالزُّلْفَى والحقّ بالجِنْسِ
جَمَعْتُ بِجَمْعِي بَيْنَ غَيْبِي وَشَاهِدِي ... بِوِتْرَيْنِ لَمْ أَشْهَد بِه رُتْبَة النَّفْسِ
خَلَعْتُ الأَمَانِي عِنْدَمَا كُنْتُ فِي مِنى[5] ... وَطَوَّقْتُها فانْظُره بالطَّرْد والعَكْسِ
فَفِي الجَمَراتِ الْعِزْ فِي رَوْنَقِ الضُّحَى ... أَحصَيْت عَدوّ الجَهْل فارْتَد فِي نَكْسِ

---

(١) **القرآن الكريم**، سورة الأنعام، الآية ٩١.

(٢) **الخَيْفُ**: ما ارتفع عن موضع مجرى السيل، ومسيل الماء وانحدر عن غلظ الجبل.
ومنه مسجد الخيف بِمِنى، سُمّي بذلك لانحداره عن الغلظ، وارتفاعه عن السيل.
(انظر: **اللسان**، مادة: خيف).

(٣) **الرمْسُ**: إذا كان القبر مستوياً مع وجه الأرض. وأَصْلُ الرمْس: السَّتْرُ والتغطية. ويقالُ لما يُحثى من التراب على القبر رَمْسٌ والقبر نفسُه رَمْسٌ إذا تسوى بالأرض. أمّا إذا ارتفع عن وجه الأرض لا يُقالُ له رمسٌ.
(انظر: **اللسان**، لابن منظور، مادة: رمس).

(٤) **مزدلفى الحجاج**: موضع مشهور بمكة (طبعاً) سُمّي بذلك لاقتراب الناس بمنى بعد الإفاضة من عرفات. **وازْدَلَفَهُ**: أدناه.

(٥) **مِنَى**: موضع مشهور بمكة أيضاً.

أَصْغَيْتُ عَلى حُكْمِ الصَّفا عَنْ حَقِيقَتي ... فَمَا أَنَا مِنْ عُزب كِرام وَلاَ فُرْسِ
رَكَنْتُ إِلَى الرُّكْنِ اليَمَانِي لأَن فِي ... استِلام اليَمَاني اليُمْنِ في جَنّة القُدْسِ
أَقَمْتُ أُنَاجي بالمَقَامِ مُهَيْمِنْ ... تَعَالى عَنِ التَّحْدِيدِ بالفَصْل والجِنْسِ
فَشَاهَدْتُهُ فِي بَيْعَةِ الحِجْرِ الذي ... تَسوّد مِنْ نَكْسِ العُهُودِ لَدى اللَّمْسِ
وبالحِجْرِ حَجَّرْتُ الوُجودَ وَلَونُهُ ... عَلَيَّ فَلاَ يَغْدُو الزَّمَانُ وَلاَ يُمْسِي
وَفِي عَرفَاتٍ قَالَ لِي تَعْرِفُ الَّذي ... تُشَاهِدُهُ بَيْنَ المَهَابَةِ والأُنْسِ
فَلَمَّا قَضَيْتُ الحجّ أُعْلِمْتُ مُنْشِدا ... يَسْرِي بَيْنَ الجَهْرِ لِلذَّاتِ والهَمْسِ
سَفِينة إِحْسَاسِي رَكِبْتُ فَلَمْ تَزَلْ ... تُسَيِّرُهَا لَه رِيَاح أَفْكَارِه الخُرْسِ
فَلَمَّا غَدَتْ تَخوِي الوجُوهُ وَعَاينتُ ... بِسَيْف النُّهَى مَنْ جَل عَنْ رُتْبَة الإِنْسِ
دَعَانِي بِهِ عَبْدِي فَلَبَّيْتُ طَائِعا ... تَأَمل هَذا الفَتْح فَوْقَ جَنَى الغَرْسِ
فَعَايَنْتُ مَوْجُوداً بِلاَ عَيْن مُبْصِراً ... وَسَرَّحْتُ عَيْنِي فانطَلَقْتُ مِنَ الحَبْسِ
فَكُنْتُ كَمُوسَى حِينَ قَالَ لِرَبِّه ... أُرِيدُ أَرَى ذَاتاً تَعَالَتْ عَنِ الحِسّ
فَدَكَّ الجبالَ الرَّاسِيات جَلالُهُ ... وَغيَّبَ مُوسَى فاخْتَفَى العَرْشُ في الكُرْسِي
وَكُنْتُ كَخُفَّاشٍ أَرَادَ تَمَتُّعا ... بِشَمْسِ الضُّحَى فَانْهَدَّ مِنْ نَحَةِ الشَّمْسِ
فَلاَ ذَاتُه أَبْقَى وَلاَ أَدْرِكَ المُنَى ... وَغُودِرَ في الأَمْوَات جِسْماً بِلاَ نَفْسِ
فَسُبْحَانَ مَنْ أَخْفَى عَن العَيْن ذَاتَه ... وَلَكِنّني أُدْعَى عَلى القُرْبِ والنَّوَى
وشَمْس تَجَلِّيها عَلَيْهِ مُقِيمُ ... بِلا كَيْف بَل تَجَلُّ كَرِيم وبالعُرْسِ[(1)]
ولكنَّه المرموز لا يدركُ السَّنَا ... ولَكِنْ هَلْ يَرَى طِيب الحياة سَقِيم

فمن لم يكن قصده على هذه المحجة وهو يطلب العين، فهو في حضرة الأين[(2)]. فاسلك يا أخي على هذه الطريق. وقلّ الرفيق حتى تتصل به إليه من غير اتصال وتنفصل عنه إليه من غير انفصال. وتكون ظلالك تسجد له بالغُدو والآصال، ومن ذلك تنزل روح أمين بإشراق صحيح مبين.

---

(١) في (ط) آخر بيت هو:
(ولكنّني أُدعى على القرب والنوى ... بلا كيف بل بفعل كريم وبالعرس)
وكلمة (بل بفعل كريم) كُتبت (بالبعل) هكذا. وليس هذا هو المهم. فقد حاول صاحب المخطوط أن يشطر هذا البيت فيبدو أنه فشل. فأضاف بيتاً آخر فظهر كأن هناك ثلاثة أبيات زائدة في المخطوط عن المطبوع، والحقيقة أنه خلط من الناسخ فأورد شطر البيت من القصيدة السابقة، ثم شطر آخر، ولفّق الأبيات ومع هذا أوردتها. لتجدر الإشارة (المحقق).

(٢) في (ط) جاء هذا المدخل على النحو التالي: [فمن لم يكن قصده على هذه المحجّة، ولم تصح له هذه الحجة. ويطلب العين فهو في حضرة الغين].

ولما هزم الصبح جيوش الليل وأردف عليه بسوابق الخيل، وحصل الجسم والرسم في قبضة العين والاسم وأعتقه من رقّ كونه وألبسه رداء صونه، ومنحه مشاهدة عينه، في أي وجه كان من أينه[1].

عند ذلك سألني رجل من أهل تبريز، وممن يقول بدولة العزيز، وينكر سقوط التمييز، من أسرار أشراط الساعة وأماراتها وحقائقها وإشاراتها؛ من طلوع شمس مغربها[2]، وروحانية مقصدها ومذهبها، وإغلاق باب توبة، وإبقاء زلة وحوبة، ونفخ دابة، ونزول مسيح، وخسف جيش بمَهامه فيح وملحمة عظمى، وفتح مدينة كبرى بتكبير وتهليل على مقتضى السُّنَّة، لا بالمرهفات البيض ولا بزرق الأسنَّة، وختم ولاية، وروضة خضراء، وسرّ نبوة، ومحجة بيضاء، ومن خرج من مقامه إلى مقام الزلّ، فصح له به الشرف[3] الأكمل، وخروج دجال لا يعنى، وقتيل[4] يموت ويحيا.

وقال لي: أريد منك أن تبين لي أين أسرار هذه الأكوان من نشأتي الإنسان[5]؟ فإني أريد أن أجعلك لشيطاني شهاباً رصداً، وأتَّبِعُك على أن تعلمني مما علمت رشداً[6].

فقلت له: وأين فتاك وقوتك[7]، وهل اتخذ في البحر سرباً حوتك[8]؟

فقال لي: لولا ما اتخذت حوتي سرباً، ما وجدت لكل شيء سبباً، ولولا فتاي ما حملت غداي.

فقلت له: سيلحقك مقامك وتتأخر إذا وقع ذلك، حينئذٍ تعتبر.

ثم قلت له: وهل نسيت الحوت فارتددت قصصاً على أثرك لتعرف خبرك؟[9]

---

(١) (هذه الفقرة في المطبوعة جاءت على هذا النحو): [وأوجف عليه ـ والدسم ـ ... ومنحه مساعد... في جهة كان من ابنه].

(٢) في (خ): (من مغربها).

(٣) في (ط): (المشرق).

(٤) في (خ): (وهيكل).

(٥) هذه الفقرة جاءت في المطبوعة (ط) هكذا: [وأريد منكم أن تبينوا لي إلى أين أسرار هذه الأكوان في نشأة الإنسان].

(٦) استند المؤلف على: **القرآن الكريم**، سورة الكهف، الآية ٦٦. في لقاء سيدنا موسى (عليه السلام) بالعبد الصالح (الخضر) ونَصُّها: ﴿**قال له موسى هل أتَّبِعك على أن تُعلمَن مما عُلِّمْتَ رُشْداً**﴾.

(٧) هنا أيضاً استند إلى: **القرآن الكريم**، سورة الكهف، الآية ٦٢. ونصُّها: ﴿**فلمّا جاوزا قال لفتاه آتِنا غداءنا لقد لقينا من سفرنا هذا نَصَباً**﴾.

(٨) استند إلى: **القرآن الكريم**، سورة الكهف، الآية ٦١. ونصُّها: ﴿**فلمَّا بَلَغَا مجمع بينهما نَسِيَا حوتهما فاتخذ سبيله في البحر سرباً**﴾.

(٩) استند إلى: **القرآن الكريم**، سورة الكهف، الآيتان (٦٣، و٦٤). ونصُّها: ﴿**قال أرأيت إذْ أوينا إلى الصخرة فإني نسيت الحوت وما أنسانيه إلاّ الشيطان أن أذكره، واتخذ سبيله في البحر عجباً. قال ذلك ما كُنَّا نبغ فارتدّا على آثارهما قَصَصاً**﴾.

فقال: كل ذلك قد كان، ولقد تعب من أَخَذَ عِلْمَهُ عن الأكوان.

فقلت له: أَوَ بَشَّرَكَ الحقُّ بأني صاحب الرحمة والعلم، فأبشر بأنك صاحب الغلظة والذم، لأني في العين وأنت في الكم والأين، فأنت في ملكك رئيس، وأنا في سجن عالم شهادتك حبيس، وأنا في ملكوتي عَلِقٌ نفيس، وصاحب صنعة لبوس.

فقال: إني آتيك بقصدي فعلمني رشدي.

فقلت: ﴿**قال إنك لن تستطيع معي صبراً وكيف تصبر على ما لم تحط به خبرا**﴾[1]. ﴿**قال ستجدني إن شاء الله صابراً ولا أعصي لك أمرا**﴾[2].

قلت: ﴿**قال فإن اتبعتني فلا تسألني عن شيء حتى أُحدِثَ لك منه ذكرا**﴾[3].

وصفُ حالٍ بعد حِلٍّ وترحال

ثم قلت له: يا سيدي صان الله أنوار شيبتك، وحفظ عليك متاع غيبتك، أريد أن أعرفك قصتي، لتكون لك سلماً إلى منصتي، عسى أن يقل إنكارك، فيحسن أن وقع منك اعتذارك، فإن الذي سألت عنه من هذه الأسرار المصونة عن ملاحظة الأنوار فكيف بعالم الأفكار، لا يصلح في كل وقت إفشاؤها، ولا بأي نفخ بعثها وإحياؤها.

فإن نبأها عظيم، وشيطان مكرها أليم، وإن كان بعض ما سألتني عنه لم أعرج عليه، ولا طلبته منه، فإن الطريق الذي سلكت عليه، والمقام الذي طلبته وانفردت إليه، الذي هو مقام فردانية الأحد، ونفي الكثرة والعدد، لا يصلح معه التعريج على كون، ولا يقبل منه إلا ما تحققه عين، ولما لم تتعلق بحوادث الأكوان همتي، ولا تشوقت إليها كلمتي، كان الحق سبحانه وتعالى وجهتي ونزهتي، عن ملاحظة جهتي، فكنت لا أشهد أينا، فكيف أبصر كوناً؟!

حكمة تعليم من عالم حكيم

ثم لما رأيت السائل عن تلك المسائل والأسرار، لا تحركه دواعي الإنكار، أعرضت عنه إعراض معلم ناصح، وصرفت وجهي إلى وجهة الحق الذي بيده المفاتح، كلها من جهة المقام الذي يعقله، وسددت الباب الذي ينكره ويجهله، حتى يتمكن في مقام السمع، ويتحقق بحقيقة من حقائق الجمع. وقمت إلى الحق مُلَبِّياً، وله مناجياً، أعدّد عليّ سوابغ نعمه،

---

(١) **القرآن الكريم**، سورة الكهف، الآيتان (٦٧، ٦٨)، مكية.

(٢) **القرآن الكريم**، سورة الكهف، الآية ٦٩، مكية.

(٣) **القرآن الكريم**، سورة الكهف، الآية ٧٠ ، مكية

وأسمع السائل سرائر حكمه، وكأني لا أقصد بذلك تعليماً، وهكذا بفعله من صيّره الحق حكيماً. فإن البيوت لا تؤتى إلاّ من أبوابها، والملوك لا يدخل عليها إلا بإذن حجّابها. وذلك أني إن أبديت له الأسرار كفاحاً، وجد قلبه لذلك سراحاً. فسرح في عالم التجسيم سر فكره، واستوى على قلبه سلطان فكره، فصيّر نوره ناراً وقراره بواراً، فالحكيم المطلق إذا أخذ مع من هذه صفته في مناشدة الحق وأعرض عن مشاهدة جميع الخلق، بهره المقام فقطع الأوهام، وغاب عن الأجسام، واستسلم أي استسلام، ووقعت النكتة في قلبه فقادته إلى معرفة ذاته وربه، فأعرضت عنه لهذه الحكمة وأنشدت وبحثت ببعض ما وجدت بعلمه فيه، أن السلوك يجذب الحق وداعيه، وسره سبحانه بالعبد وبحقيقة فعله ينتبه ويعيه.

قَلْبِي بِذِكْرِكَ مَسْرورٌ ومَحْزُونُ ... لمَّا تَمَلَّكَهُ لَمحٌ وتَلْوِينُ
فَلَوْ رَقَتْ لِسَماءِ الكَشْفِ هِمَّتُه ... لَمَا تَمَلَّكَهُ وَجْدٌ وتَكْوِينُ
لَكِنَّه حَادَ عَنْ قَصْدِ السَّبِيلِ فَلَمْ ... يَظْفَرْ بِهِ فَهوَ بَيْنَ الخَلْقِ مِسْكِينُ
حَتَّى دَعَتْهُ مِنَ الأَشْوَاقِ دَاعِيَةٌ ... أَضْحَى بِهَا وَهوَ مَغْبُوطٌ ومفْتُونُ
وأَبْرَقَتْ مِنْ نَوَاحِي الجَوِّ بَارِقَةٌ ... هَمَّتْ لَهَا نَحوَ قَلْبِي سُحْبُهَا الجونُ
فَالسُّحْبُ سَارِيَةٌ والرِّيحُ دائِرَةٌ ... والبَرْقُ مُخْتَطَفٌ والمَاءُ مَسْنُونُ
وأَخرَجَتْ كُلَّ مَا تحْويهِ مِنْ حَسَنٍ ... أَرْضُ الجُسُومِ وَفَاحَ الهِنْدُ والصِّينُ

فلما سمع السائل وصف حالته، وسجنت بدر سره في إرادة هالته، وتَنبَّه لما أُخفيَ فيه، وأُبْرِزَتْ له نبذة من معانيه، ورأَيْتُه قد أصغى إليّ بكلِّيته، وخرج عن ملاحظة نفسيته، صرفت وجهي إليه، وهو فانٍ فيما أوردته عليه، متعطش للزيارة فيما أنشدته[1]، وطلب مني الزيادة بحاله فزدته.

فَمَا تَرَى فَوْقَ أَرْضِ الجِسْمِ مَرْقَبَةً ... إلاَّ وَفِيهَا مِنَ الأَنْوَارِ تَزْيِينُ[2]
فَكُلَّمَا لاحَ فِي الأَسْرَارِ[3] مِنْ بِدَعٍ ... وَفِي السَّرَائِرِ مَعْلُومٌ وَمَوْزُونُ
والقَلْبُ يَلْتَذُّ فِي تَقْلِيبِ مَشْهَدُهُ ... بِكُلِّ وَجْهٍ مِنَ التَّزْيِينِ ضَنِّينُ
والجِسْمُ فُلْكٌ بِبَحْرِ الجُودِ تُزْعِجُهُ ... رِيحٌ مِنَ الغَرْبِ بالأَسْرَارِ مَشْحُونُ

(١) في نسخة المخطوط (خ): (أنشده عليه).
(٢) هذا البيت ورد في (ط) على هذا النحو:
[فما ترى فوق الأرض الجسم مرقبة ... وفيها من النوار تزيين].
(٣) في (ط): (الأجسام).

وراكِبُ[1] الفُلْكِ مَادَامَتْ تُسَيِّرُهُ   رِيحُ الشَّرِيعَةِ مَحْفُوظٌ وَمَيْمُونُ
أَلْقَى الرَّئِيسُ عَلَى التَّوْحِيد مَقْدِمَهُ   وَفِيهِ لِلْمَلإِ العُلْوِيِّ[2] تَأْمِينُ
فلو تَرَاهُ وريحُ الشَّوْق تُزعجهُ   رِيحٌ[3] وَمَا فِيهِ تَحْرِيكٌ وَتَسْكِينُ
إنَّ الأَوائِلَ فِي الإِنْسَانِ مُوَدَعَةٌ   نُورٌ ونَارٌ وطِينٌ فِيهِ مَسْنُونُ
وَأَوْدَعَ الوَصْلُ مَا بَيْنِي عَلَى كَثَبٍ[4]   وبين رَبِّي مَفْرُوض ومَسْنُونُ
فالسِّرُّ باللّه مِنْ خَلْفِي ومَنْ خَلْفِي   إذَا تَحَقَّقْتَ مَوْصُولٌ وَمَيْمُونُ
يَقُولُ إنِّي قُلْتُ الحَقَّ فاعْتَبِرُوا   فإنَّ قَلْبَ كِتَابِ اللّه يَاسِينُ
مِنْ بَعْدِ مَا قَدْ أَتَى مِنْ قَبْل نَفْخَتِهِ   عَلَيَّ مِن دَهْره فِي نَشْأتِي حِينُ
لاَ يَعْرِفُ المَلَكَ المَعْصوم مَا سَبَبِي   ولا لعين[5] الذي تَبْكِيه تَبْيِينُ
لَمَّا تَسَتَّرْتُ عَنْ صَلْصَالِ مَمْلَكَتِي   أَخْفَانِي عَنْ عِلْمِه في عَيْنِهِ الطِّينُ
فَكَانَ يَحْجُبُه عَنِّي وَعَنْ صِفَتِي   غَيْمُ الغَمَى وَأَنَا فِي الغَيْب مَخْزُونُ
فَعِنْدَمَا قُمْتُ فِيه عَاد مُفْتَخِراً   يَمْشِي الهُوَيْنَا وَفِي أَعْطَافِه لِينُ
لَمَّا سَرَى القَلْبُ الأَعْلَى وَصَارَ إلى   عَدْنٍ وَغَازَلَهُ حُورٌ بِهَا عِينُ
غُضْنُ الجُفُون وَلَمْ يُثْنَ العَنَان لَهَا   لَمَّا مَضَى مِنْ هَوَاه الفَرْض والدِّينُ
فَعِنْدَما قَامَ فَوْقَ العَرْش بَايَعَهُ   اللَّوْحُ والقَلَمُ العُلْوِي[6] والنُّونُ
فَلَوْ تَرَاه وَقَدْ أَخْفَى حَقِيقَتُهُ   لَهُ فُوَيْق اسْتِوَاء الحَقِّ تَمْكِينُ
فَإِنْ تَجَلَّى إِلَى كَوْنٍ بِحِكْمَتِهِ   لَهُ عَلَى ظَهْرِ ذَاكَ اللَّوْن تَعْيِينُ
فَلاَ يَزَال لِمَزْج المُلْقِيَاتُ بِهِ   يَقُولُ لِلْكَائِنَاتِ فِي الوَرَى كُونُوا
فَكُلُّ قَلْبٍ سَهَى عَنْ سِرِّ حِكْمَتِهِ   فِي كُلِّ كَوْن فَذَاك القَلْب مَغْبُونُ
فَاعْلَمْ بِأَنَّكَ لاَ تَدْرِي الإلهَ إذَا   لَمْ يَكُنْ فِيكَ يَرْمُوكٌ وَصِفِّينُ[7]
فَاعْرِفْ إِلٰهكَ مِنْ قَبْلِ المَمَاتِ فَإنْ   تَمُتْ فَأَنْتَ عَلَى التَّقْلِيدِ مَسْجُونُ

---

(١) في النسخة (خ): (ومركب).
(٢) في (ط): (الملأ العليا).
(٣) في (ط): (تجري).
(٤) أي: (عن قرب).
(٥) في (ط): (ولا العيون).
(٦) في (ط): (العلاّم).
(٧) **يرموك وصِفّين**: أسماء لموقعتين شهيرتين في التاريخ الإسلامي. **فاليرموك**: كانت في عهد عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) في شهر رجب ١٥ هجرية. **وصِفّين**: كانت في عهد الإمام عليّ بن أبي طالب (كرّم الله وجهه).

وإنْ تجلَّيتَ في شرقيّ مشهده عِلماً تنزّهَ فيكَ العالِ والدُّونُ
ولاحَ في كُلِّ ما يخفي ويظهرُ مِنْ فيكَ سِرٌّ عنِ الأغيارِ مكنونُ
وغِزْ عليهِ وصُنْهُ ما حييتَ بهِ فالسِّرُّ بيتٌ بقلبِ الحُرِّ مخزونُ[1]

فلما سمع منتهى القلوب، ووقف على شرف منتهى الغيوب، ورأى ما حوته هذه المملكة الإنسانية، من الصفات الربانية، والأسرار الروحانية، جثا على ركبتيه وانسلخ عن ظلمته.

وقال: أنا أَكْتُمُ السّر، فأوضح لي الأمر، فقد زال النكران، وطرد الشيطان، بعناية: **﴿إن عبادي ليس لك عليهم سلطان﴾**[2]، وصف لي الخبر أني أُسَلِّم، وعلّمني فإني أتعلّم.

قلتُ: فلم أزل بهذا المشهد السَّنِيّ، والمقام العليّ، أغدو وأروح، في غُبوق وصَبُوح، إلى أن تمكن الأمر لديّ، وحصلت المفاتيح في يدي.

فلما اتصفت بهذا التحصيل، وهيأني الحق للتقديم ورشحني للتفصيل، علمت على أنه على كل شيء قدير، وأنّه تعالى يريد رجوعي إلى عالم الشهادة، فقبلته على شرط الإبقاء للحال والزيادة، إذْ لا دليل قاطع بوجود نهاية، ولا تحقيق لأحد بغاية، إذْ هو القائل سبحانه وتعالى قول تنزيه وتمجيد: **﴿لهم ما يشاءون فيها ولدينا مزيد﴾**[3].

فحصل للمتصف بهذا المقام نفوذ إرادته في ملكه، وزيادة ما لم تتصف الهمة بدركه، فنفُوذ إرادته في قوله: **﴿فعسى اللّه أن يأتي بالفتح أو أمر من عنده﴾**[4]. لكن بشرط الوفاء بعهده والزيادة في تتميم الآية[5] بقوله:

﴿أو أمر من عنده﴾[6] فعند انصرافي من غير مفارقة الرفيق، إلى عالم الترفيع والتلفيق، تلقتني حوادث الأكوان في الطريق، فعند ذلك عرفت من الحوادث الآنية والأينية ما شهدته، وعلمت من الكائنات العلوية والسفلية ما وجدته، وأنا الآن من ذلك الوقت إلى حين هلكتي وافتراق ملكي في فلكي. فالرجعة المشهدية بتلك الصفة الأُحدية.

ومن ذلك هدهد مبين، جاء بنبأ يقين، وقد تجسّد بثلاثة أنوار، وأعطيته أسراراً وممن سلم

---

(١) في (ط): (مدفون).
(٢) القرآن الكريم، سورة الحِجْر، الآية ٤٢، مكية
(٣) القرآن الكريم، سورة ق، الآية ٣٥، مكية.
(٤) القرآن الكريم، سورة المائدة، الآية ٥٢، مدنية.
(٥) في النسخة (خ): (الولاية).
(٦) جزء من الآية السابقة.

عليَّ في أُفقه، وأظهر لي بعض خلقه، كوكب الأفُول في رد المقة، وقمره بازغاً في حلة الهداية المشرقة، فأعطى كل نور حقيقته، وأوضح لنا طريقته ثم تلاهما الشمس الأكبر والنور الأزهر الذي يجلو السّدف، وينير الغرف، ويزيل الكلف، وهو التجلي المثالي، والنور الإرسالي، فَسَلَّم ثم أفل من مغرب الغمى، حتى يصل الأجل المسَمَّى. فإذا دنى الأجل واقترب طلع هادياً من حيث غرب.

هذا هو شمس التوجيه ومقام التنزيه بأفوله يزول الإشراك، وتنحل عقد الإشراك، فيفلت صيدها، ويرتفع كيدها، وهذا الأفول كله على قسمين لذي عينين.

فإن جعل أُفُولها في قلبه فهو على نور من ربه في عالم غيبه، فبقي له نور قُرْبِه، ويكون له نور على نور، وسرور وارد على سرور.

وإن أظلم المحل الأضواء عند أُفُولها فهو معرى من صفات مقيلها، قد غرق في بحر الذات الأقدسية متجرداً عن أثواب صفاتها المعنوية.

فانظر إلى هذا السر السَّني ما أعجبه، وإلى هذا الذوق الهَنِيّ ما أعذبه.

وبقيتُ مع هذا النور الشمسي في مقامه القدسي أناجيه أعواماً، وليالي قمرية وأياماً، وقد أوضح اللّه لنا العلامة بأنه خاتم الإمامة أعني الإمامة المحمدية الجزئية، لا الإمامة المطلقة الكلية. فمن فهم فليعلم ومن جهل فليقرع الباب وليلزم، ما دام هذا النور ثابتاً في أُفقه، قبل أُفُولِهِ في حقه، فتحققت ما لديه، وعلمت ما جعل الحق من الأسرار في يديه، ومن ذلك رحيق مختوم.

﴿ومزاجه من تسنيم﴾[(1)] إلى أن دخل عام خمسة وتسعين ونصف يوم اليوم فأعيى من الشمس ظلام الغيم، وأنا على حالتي عن رجوعي المذكور، بعلمي المشهور، وعملي المستور، في غلائل النور، وإنما يكون هذا الرحيق بالمسك مختوماً، وكان مزاجه تسنيماً، لأنه تابع متبوع، وسامع مسموع، وستأتي الإشارة إليه من بعد، ويكون له الوعيد والوعد، فلما دخل العام المذكور ومضت منه ثلاثة شهور تلقاني عند فراقي الشمس المغربية، وتركي لها في العصابة اليثربية الختم المذكور برحيقه، وأوضح إلى كأس التسنيم مزاج طريقه، فرأيت ختم أولياء اللّه الحق، في مقعد الإمامة الخاصة الإحاطية والصدق، فكشف لي عن سر محتده، وأُمِرْتُ بتقبيل يده، متدلياً على الصدِّيق والفاروق، متدانياً من الصادق المصدوق، محاذياً له من جهة الإذن، قد ألقى السمع لتلقى الإذن، ولو تقدمه منشوراً وخاتماه نور على نور فكان

(١) **القرآن الكريم**، سورة المطففين، الآية ٢٧، مكية

له في ذلك الجمع الطهور، ومن عداه فيه **(كلابس ثوبَيْ زور)**[1] والشمس البيتية قد قبلت يده مثلي ولحظتها.

فقال الختم: هي من أهلي ثم نازعني الحديث وتغنَّينا بالقديم والحديث، والساقي يحثّ المدامة، ويبدأ بساق عرش الإمامة، وهو ينعطف على عطفه نشوان، ويغازلني مغازلة هيمان.

ويقول: رَدِّني برداء الكتْم فإني أنا الختم لا وليّ بعدي، ولا حامل لعهدي بفقدي تذهب الدول، وتلتحق الأخريات بالأول.

وَكَـانَ مَـا كَـانَ مِمَّـا لَـسْـتُ أَذْكُـرُهُ   فـظُـنّ خَـيْـراً ولا تَـسْـأَل عـن الخَبَـر

ولما تناجت القلوب بأسرارها، وطلعت شموس الغيوب من سماء أنوارها، وأخذ المجلس حدّه، ودخل أبو العباس[2] وصاحبه[3] عنده، وانصرفتُ متحققاً بما عرفت، ولم تبق نكتة نادرة إلاّ على باب حضرتي واردة وصادرة، ولولا عهد الغيرة ما أخذ علينا دخيل إلا فشا الذي نبذ لأبرزناه لكم في حلته وبنيته، ولكن سأجعله وراء كنيته بحليته. فمن اجتهد[4] ورفع ستره رأى سره، وهكذا أفعله في شمس غربنا أظهرها، لكم من وراء قلبنا في حجاب غيبنا، فمن كان ذا كشفٍ علوي وعزمٍ قوي شقّ عن قلبي حتى يرى فيه شمس ربِّي، فمن امتطى عتيق الإفشاء طلب ولحق، ومن نزل عن متنه إلى ذلول الكتم نجا والتحق، إلاّ إن كان كما أفعله وفعله من قلبي وفعله مغم خفي رمز ودرج مغنى في معمى لغرضي ومن ذلك البحر المتقدم المذكور وإرخاء الستور على البدور، ولما دخل شهر ميلاد النبي (عليه الصلاة والسلام) بعث إليَّ سبحانه رسول الإلهام وهو الوحي الذي أبقاه علينا، والخطاب الذي جُعل منه إلينا. ثم أردفه بمُبشِّرة[5] ساطعة في روضة يانعة، يأمرني فيها بوضع هذا الكتاب المكنون، والسرّ المصون المخزون، وسماه لي بكتاب: «الكشف والكتم في معرفة الخليفة والختم».

---

(١) إشارة إلى حديث النبي (صلى الله عليه وسلم): **«المتشبع بما لم يُعطِ كلابس ثوبيّ زور»**. رواه البخاري في **النكاح**، (١٠٦) وأبو داود في **الأدب**، ٨٣، ومسلم في **اللباس**، ١٢٦، ١٣٧، والترمذي في **البر**، ٨٧. كلهم عن أسماء بنت أبي بكر (رضي الله عنهما).

انظر: الإمام صلاح الدين التجاني: **جوامع الكلم**، حديث رقم (٢٣٨٧). وانظر: **المعجم المفهرس لألفاظ الحديث**، ١/ ٣١١.

(٢) هذا هو لقب الختم (أبو العباس أحمد التجاني).

(٣) يقصد نفسه (ابن عربي) إذْ لم يحضر هذا اللقاء غيرهما كما هو واضح من الحديث الذي ساقه.

(٤) في النسخة (ط): (اجترى).

(٥) في النسخة (ط): (بميسرة).

فراجعت الملك في هذه العلامة فقال: أيها الفتى مَهِ. ثم عاد إليّ وما رحل، وفرش المحل الأقدس وما نزل، وقال الحضرة قد وَسَمَتْهُ بكتاب **[سدرة المنتهى وسورة الأنبياء في معرفة الخليفة المهدي والختم قبله ختم الأولياء]**.

فقلت: إني لا أجد في نفسي لهذه التسمية نكتة فلا تعجل عليّ وتأخذني بغتة.

فقال: إني أستحي.

فقلت: **﴿ربي الذي يُحيي ويميت﴾**[1].

فلما كان يوم الجمعة والخطيب على أعواده يدعو أولياءه إليه وعباده إذ وجدت برد كف الجذب من حضرة القرب، فتلقيت للغفلة الكلمات وتوفرت دواعي القلب، لما يرد عليه من سماء القرب، فإذا ألحظ الخطاب الأنفس، من المقام الأقدس، هل تقنع أيها الخطيب المغرب والمنتقد المعجب.

[بعنقاء مغرب في معرفة ختم الأولياء وشمس المغرب ونكتة سرّ الشفاء في القرن اللاحق بقرن المصطفى].

---

(١) القرآن الكريم، سورة البقرة، الآية: ٢٥٨، مدنية.

فصل

وهذه الإشارات كلها راجعة إلى النسخة الصغرى، لا إلى النسخة الكبرى. فقد بيّنْتُ لك آنفاً أن لا فائدة لك في معرفة ما خرج عن ذاتك إلا أن يتعلق به سبيل نجاتك، فشمس المغرب ما طلع في سماء غيبتك من أنوار العلوم، وتجلى على قلبك من أسرار الخصوص والعموم، كما أن الختم ما ختم به على مقامك عند منتهى مقامك، وكذلك إذا كنت في مقامك الخاص بك بين إخوانك على ما كان عليه من تقدم من صحابة النبي (صلى اللّه عليه وسلم) من العمل السني والمقام العلي فقد لحق زمانك بزمانهم وصرت من جملة أقرانهم ومن ذلك رفع ستر ومجاهدة ومعاهدة بكر ولمّاً نصّ ما ذكرته، وورد عليَّ بما سطرته.

قال: هل رأيت يا محمد[1] هذه الإشارة في تأخير هذه العبارة، الوزير عن الوزارة، للوزارة عن الأمر في وقت الإمارة. لولا خلافة الصدّيق لرجع الناس عن الطريق، لعدم الكشف ومعرفته وهل الخليفة إلاّ بعد ثبوت المستخلف ولهذا توقف المجادل المتعسف.

فقال: قل له يا محمد هيهات يا إنسان ما لا بد من كونه فكأنه قد كان وكان، لكنه غير موجود في عالم التغيير والحدثان. إنما الحكمة أخّرته لسرّ أضمرته سيظهر ذلك في أوانه، وحُلول زمانه.

فشمس المغرب دون رتبة الصديق فعليك بالكتم، كما أن الصدّيق فمن دونه تحت لواء الختم، وذلك أن أنوار الغيوب الساطعة في القلوب، التي كنينا عنها قد ينالها من ليس بصدّيق أكبر ولا له ذلك المقام الأخطر، بل قد ينالها الممكور به والمستدرج المغبون.

(١) أي: (محمد بن علي الحاتمي الطائي) المؤلف.

وسرُّ هذا في قوله تعالى: ﴿سَنَستدرجهم من حيث لا يعلمون﴾[1].

والصدِّيقية لا ينالُها إلا أهلُ الولاية، ومن كان له عند اللّه أزلاً سابق عناية، وهي السبيل في نجاة من اتصف بها وتمذهب بمذهبها، فلهذا جعلنا الشمس دونها والنهار كونها، كما أن الختم فوق رتبة الصديق. إذ كان الممهد للطريق الذي مشى عليه عتيق فالختم نبوي المحتد، علوي المشهد، فلهذا جعلناه فوق الصدِّيق كما جعله الحق فالأخذ من نوره أخذ من مشكاة النبوة أكبر ممن أخذ من مشكاة الصدِّيقية. فبين التابع والمتبوع والصاحب، كما بين الشاهد والغائب.

ولما صَحَّ أن الختم مقدّم الجماعة، يوم قيام الساعة، ثبت أن له حشرين، وأنَّه صاحب الختمين ويشركه ذو الأجنحة في حَشْرَيهْ وينفرد الختم بخاتميه، وذو الأجنحة في الإنسان من غلبت عليه الروحانية والتحق بتطهير نفسه بالرتبة الملكية ولا دفاع عندنا في هذا المقام ولا نزاع[2] وعلى قدر ارتقائه لها يكون مع صاحب مثنى وثلاث ورباع، فإن كان أمين الأرواح، فسيكون له ستمائة جناح، ولا حرج عليه في ذلك ولا جناح، وإنما سميناه خاتماً، وجعلناه على الأولياء حاكماً، لأنه يأتي يوم القيامة وفي يده اليمنى محل الملك الأسنى خاتم مثالي جسماني، وفي يده اليسرى محل الإمام الأيسر خاتم نزالي روحاني، وقد انتشر باليمين في جملة أهل التعيين، وقد انتشر باليسار مع أهل التمكين، فقد خصص بِعِلْمَيْن، وخوطب باسمين [فله التراس في الآخرة الحافزة والتقدم في الأولى والآخرة][3] فتفطن أيها اللبيب لهذه الأسرار واسع لضياء هذه الأنوار، ومن ذلك وهن إغلاق وأخذ ميثاق، ولما سمعت ما ذكره أظهره لعيني ما كان ستره، عزم عليّ في تقييد هذه النبذة الأقدسية، وأخذ عليّ العهد إن أُجرِّدُها من غلائلها السندسية، حتى لا تبتسم عن إغريض، ولا يظهر لبرقها وميض.

وقال: هي رهن في يديك وقد غلق فلا تبتئس فامسك عليه ولا تخرجه فتختلس.

فتوجه الأمر عليّ عند ذلك في إفشاء هذا السِّر المكتوم والكتاب المختوم، إفشاء تعريض لا تصريح، وإعلام تنبيه وتلويح، ولما تلقيت منه الأمر على هذا الحد، ودخلت تحت هذا العقد، لزمني الوفاء بالعهد، فأنا الآن أبدي تارة وأعرض تارة، [وإياك أعني فاسمعي يا جارة][4]

---

(١) القرآن الكريم، سورة الأعراف، الآية ١٨٢، مكية.

(٢) في (خ): (ولا دفاع) أيضاً.

(٣) ما بين المعقوفتين سقط من (ط).

(٤) مثل عربي (إيّاك أعني فاسمعي يا جارة). أول من قال ذلك سهل بن مالك الفزاري عندما خرج يريد النعمان فمرَّ ببعض أحياء طيئ. فلم يجدْ سيد الحيّ، فقالت له أخته: انزل على الرحب والسّعة، فنزل فأكرمته، ولاطفته، ثم خرجت من خبائها فدهشه جمالها، فوقع في نفسه منها شيء. فجعل لا يدري كيف يرسل إليها، فجلس بفناء الخباء يوماً، وهي=

فكيف أبوح بسري أو أبدي بمكنون أمري وأنا الموصي به غيري في غير ما موضع ما من نثري ونظمي.

أكـتُـم الـسِّـر ولا تُـبْـدِهِ ... فـالـبَوْحُ بـالـسـرِّ لَـهُ مَـقْـتُ
عَـلَـى الـذي تُـبْـدِيـهِ فـاصْـبِـرْ لَـهُ ... واكـتُـمْـه حَـتـى يَـصِـل الـوَقْـتُ

فمن كان ذا قلب وفطنة، شغله طلب الحكمة عن البطنة، فوقف على ما رمزناه وفك المعمَّى الذي لغزناه، ولولا الأمر الإلهي لشافهنا به الوارد والصادر وجعلناه قوتاً للمقيم وزاد الراحل[1]، ولكن جف القلم بما سبق في القدم، فما أشرف الإنسان حيث جعله اللّه محل روحانيات هذه الأكوان فقد أبدع اللّه سلخه حين أوجده وأكمل نسخه واللّه الكفيل ﴿وعلى اللّه قصد السبيل﴾[2] ومن ذلك موقف اختصاص ونتيجة إخلاص[3]، ولما كان هذا الأمر يدخل الصدق والمين، ولو كان عند قائله عن مشاهدة عين، لما كان يقطع بصدق السامع، إلا أن يتأيد ذلك الخبر بإعجاز قاطع، أو نور حسن ظن بقلبه ساطع.

ولهذا قال الإمام أبو يزيد[4] (رضي اللّه عنه): لموسى الديبلي[5]: إن المؤمن بكلام أهل هذه الطريقة مجاب الدعوة عند العليّ، فقد حصل للمؤمن الصديق الاشتراك مع الصادق بطريق حسن الظن لا بدليل الخوارق، ولما كان الأمر عند الخلق بهذه النسبة وحجبوا عما له عند اللّه من عظيم النصبة أخفيناه عنهم رحمة بهم وجرينا معهم على مذهبهم فما أظهرت النبوة للجمهور إلا قدر حمل عقولهم خوفاً من نفورهم له وذهولهم فيقعوا في تكذيب المخبر الصادق فتحل بهم لذلك مَثُلات العوائق.

ثم جرى على هذا المهْيَع السلف الصالح من الصحابة، ونزلوا من مقام الهيبة إلى مقام المزاح والدعابة، اقتداء بمن مازح الشيخة وذاته التغيير بما ظاهره موهم وباطنهم خير وتستر

= تسمع كلامه فأنشد:

يـا أخـت خـيـر الـبـدو والحضـارة ... كـيـف تـريـن فـي فـتـى فـزاره
أصـبـح يـهـوى حـرةً مـعـطـارة ... إيَّـاك أعـنـي فـاسـمـعـي يـا جـاره

فهو مثلٌ يُضرب لمن يتكلم بكلام، ويريد به شيئاً غيره.

انظر: الميداني: **مجمع الأمثال**، ١/٨٠ رقم (١٨٧).

(١) في النسخة (ط): (المسافر).

(٢) **القرآن الكريم**، سورة النحل، الآية ٩. وقد استكمل في (ط) جزء آخر منها ولكنها ناقصة من الوسط. ونصُّ الآية: ﴿وعلى اللّه قصدُ السبيل ومنها جائر ولو شاء لهداكم أجمعين﴾.

(٣) في النسخة (خ): كلمة (إخلاص) سقطت وكتبها على الهامش استدراكاً (اختصاص).

(٤) (أبو يزيد البسطامي). انظر ترجمة له في داخل المجلد.

(٥) في النسخة (ط): (موسى الديبلي).

بالمعاملات في الظواهر، وتكتموا بما حصل لهم من العلم المصون والسرائر، وإن كان قد نبهوا رضوان اللّه تعالى عليهم عن أمور ليست عند الجمهور خوطبوا بها من وراء الستور فقد قال أبو هريرة (رضي اللّه عنه): لو بثثته لقطع مني البلعوم.

وقال ابن عباس (رضي اللّه عنهما): لو فسّرته لكنت بينكم الكافر المرجوم.

لما رأوا أن حقائق الغيوب فوق مراتب بعض القلوب فأخذوا الأمر من فوق معرفة ومشاهدة وذوق وِرْثاً نبوياً محفوظاً ومقاماً علوياً ملحوظاً إذ أشار في إنبائه لما لُقنه ليلة إسرائه من تحصيل علم أُخِذَ عليه كتمه لما عسر على غيره فهمه.

ولما كانت هذه العلوم التي أنا واضعها في هذا المجموع وأشْباهَه من هذا القبيل ومتلقاه من هذا الجيل ومما لا يصح إلا بعد مفارقة جبريل، وكل صنف من الملأ الأعلى وقيل: لا يصح عندنا إذاعتها، إلا أن يرفع حجابها فتكشف سريرتها، فكل ما أبعدناه لعين الناقد البصير إنما هو من تلقيات الروح الأمين ومن سدرة منتهى السالكين وبعض تلقيات اليقين والتمكين من حضرة المناجاة بلغة الأنس، لإزالة سطوة الهيبة ونزول رحمة الأنس، فما ظهر منها إلاّ قدر إبصار الناظرين فمنهم من فهم وسلم ومنهم من جال بها في ميدان المتناظرين.

ومن ذلك موج مجنون تجرد عنه لؤلؤ مكنون، ولما توالت عليَّ الأسرار وسطعت من جميع مسام أشعة نشأتي الأنوار اغتسلت بالماء القراح لسد المسام، فانعكست الأنوار إلى محل الإلهام، فتفجرت جداولها وأنهارها، واشتد الريح الغربي فتموجت بحارها، فدخل الموج بعضه في بعض، وأسرع إلى ما أبرمه المتبرم بالحل والنقض، فلا تبصر إلا سحاباً مركوماً وموجاً مجنوناً.

﴿في بحر لُجي يغشاه مَوجُ من فوقه مَوج مِن فَوقِه سَحاب ظُلمات بعضها فوق بعض﴾(١). حتى ما بقي على ظهر هذا البحر فلك يجري، ولا ظهر في جوه فلك يسري، إلى أن لطف المغيث سبحانه فسكن من الريح ما اشتد وكثر الموج بالساحل وامتد فرمى بزبده على سفينة زبده مخض لوضع الوقت وشريعة.

(قَدْ عَلِمَ كُلّ أُناسٍ مَشربهم)(٢) وحققوا طريقهم ومذهبهم، فذاك الزبد قدر ما خرج من بحر قلوب العارفين على ظواهرهم إلى الخلق ولا يعرف قدره إلا صاحب ذوق.

---

(١) **القرآن الكريم**، سورة النور، الآية ٤٠، مدنية.

(٢) حديث **(قَدْ عَلِمَ كُلّ أُناسٍ مَشربهم)** انظر **الدر المنثور** ج١ ص٧٣ عن عبد بن حميد وابن جرير عن مجاهد.

وهذا الكتاب المحفوظ من طوارق العلل والمسمى في غيابات الأزل [**بعنقاء مغرب في معرفة ختم الأولياء وشمس المغرب، ونكتة سرّ الشفاء في القرن اللاحق بقرن المصطفى**] من ذلك الزبد الذي رماه الموج يلوح للمنفرد به الفرد وللجامع الزوج، فمن شاء فليوتر ومن شاء فليشفع، وهذا القرن قد آن زمانه وقرب أوانه فليتأهب المتأهب لحلوله، وليستغنم السعي لهذا النور الإلهي قبل أفوله.

لا تعجب يا أخي فإن القرن اللاحق بقرن المصطفى، لم يزل موجوداً ما دام الإنسان مع ربه سبحانه وتعالى مشاهداً له والحق له مشهوداً وإن كان الذي قد أشار إليه الشرع، وجاء به السمع، في عبارة الهرج والمرج والقتل فذلك أوان التقدم والفضل (**فإن للعامل منهم أجر سبعين ممن تقدم**)[1] وإن كان الإمام المتقدم، فإنهم لا يجدون على الخير أعواناً كما وجدوا، ولا يشهدون لإمامهم غيباً كما شهدوا، ولا شيء أقوى من إيمان غيب إذ لم يلحق بصاحبه ريب، وذلك زمان الفتن وحلول البلايا والمحن ﴿**فأعرض عَمن تولى عن ذكرنا ولم يُرد إلا الحياة الدنيا ذلك مبلغهم من العلم إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بمن اهتدى**﴾[2].

فتأمل هذه الإشارة في نفسك، واجتمع عليها بقلبك وحسك، فإن الزمان شديد، وجباره عنيد، وشيطانه مريد، فانسلخ منهم انسلاخ النهار من الليل، وإلا فقد لحقت بأصحاب الثبور والويل، فقد نصحتك فاعلم وأوضحت لك السبيل فالزم، ومن ذلك نكاح عقد، وعرس شُهد، ولما كان ما صدق من الرؤيا جزءاً كبيراً نبوياً قطعنا بتصديق ما تهديه، وتنعم به من أيادي الحق وتستهديه، فدخلت بيت الأنوار وانسدلت الحجب والأستار غيرة على الحرم والأبكار فبينما أنا أناجيه بين يديه، إذ جذبني جذبة عزيزة إليه، فأقامني الحق في مقام البحر الذي على موجه وطمى، ودخل بعضه في بعض ونمى، وأنا في حالة لا يعرفها إلا من كابدها ولا يصفها إلا من شاهدها كما قيل:

لا يَـعْـرِفُ الـشَّـوْقَ إلاّ مَـنْ يُـكَـابِـدُهُ   ولا الـصَّـبَـابَـةَ إلاّ مَـنْ يُـعَـانِـيـهـا

فأقمت متكئاً على اليمين، وتركت قلبي مقابلاً عليين، إذ هو محل الحق، ومقعد الصدق، وقد غمره الماء وأحاطت به الأنوار فلم تزل أمواجه تصطفق ورياحه تنزعج وتختفق

---

(١) حديث لرسول الله (صلى الله عليه وسلم) وفيه: «**أن للعامل فيهن أجر خمسين رجلاً منكم**». رواه الترمذي في تفسير سورة ٥، ١٨. ورواه **أبو داود في الملاحم**، ١٧. ورواه **ابن ماجه في الفتن**، ٣١. (انظر: **المعجم المفهرس لألفاظ الحديث**، ١٩/١، مادة: أجر).

(٢) **القرآن الكريم**، سورة النجم، الآيتان (٢٩، ٣٠)، مكية.

إلى أن فُتِحَ في الورك الأيسر الأعلى قدر خرق الإبرة، فرشح منه قدر رأس الشعرة، رأيت منها العبرة فكونها الحق تعالى سبحانه ملكياً وأنشأها منشأ فلكياً، فرأيت مسبحاً ومهللاً ومكبراً وملبياً، فعرفت أن ذلك الشخص جسمانية هذا الكتاب الذي أنزله الحق عليَّ وأبرزه للعيان على يدي وأنه قطرة من ذلك البحر المتموج ورشحة من ذلك الموج الأهوج.

فالحمد للّه الذي صيّرني ملكاً محيطاً وجعلني له روحاً بسيطاً، فانظر وتأمل أيها الوليّ الأكمل إلى نبي قد فقدت جثته وبقيت عند الآحاد سُنته فَبُعثَ من قبره وسيّر به إلى حشره، والتحق الحي بالميت فحشر، وحصل رب البيت في البيت فعمر، فخطب حميره من عتيقه، وانتزعها من يدي صديقه، فأصدقها عدداً غاب عني، وطلب الشهادة على ذلك مني، فكتب في خرقة حرير أحمر كتاب بزهره وكنت أول الشهود في مهره، عن إذنه (صلى اللّه عليه وسلم) وأمره، وذلك في منزله الأعلى، ومقامه الأجل الأجلى. فلما صح أمره ترك بيدي مهره ودخل منزله بعرسه واختلى بها وبنفسه وبقي المهر بيدي إلى انقضاء أمدي.

فلما لاح الصبح لذي عينين وجمع ليّ بين النورين لم أجد عرساً ولا بعلاً غير ذاتي ولا صدى ما غير خلقي وصفاتي فكنت البعل والعرس. وزوَّجت العقل بالنفس، فتطهرت الحُمَيْرة[1] ببعلها، وتأيدت بعزيمة عقلها، فعجبت من أمري وأمرها، ولما لم يكن غيري وهكذا وقفت عند رفع الستور، على مخبآت الأمور، فمن ساحل ما له بحر يحتمي به زوجه، وفي بحر لا ساحل له يكسر عليه موجه، ومن ناطق بحقائق بغير لسان ولا مخارق، ومن صامت لا يبرح داعياً وإلى اللّه هادياً ومن كرة لا مكان لها ما عرفها أحد ولا جهلها، ومن قبة ما لها عمد، ومن عمد ما له في الأرض مستند، إلى أسرار تتدنس بالذكر صحتها ولا تخلص بالفكر إذ هي من حضرة ما خطر على قلب بشر ولا وعتها أُذن واعية بالخبر ولا أدركتها حقيقة بصر كما قلت:

عَجِبْتُ مِنْ بَحْرٍ بِلا سَاحِلٍ ... وَسَاحِلٍ مَا لَهُ بَحْرُ
وَصَحْوَة لَيْسَ لَهَا ظُلْمَةٌ ... وَلَيْلَةٌ لَيْسَ لَهَا فَجْرُ
وَكُرَةٌ لَيْسَ لَهَا مَوْضِعٌ ... يَعْرِفُهَا الجَاهِلُ والحَبْرُ
وَقُبَّةٌ خَضْرَاءُ مَنْصُوبَةٌ ... جَارِيَةٌ مَرْكَزُهَا القَهْرُ
وَعُمُدٌ لَيْسَ لَهَا قُبَّةٌ ... وَلاَ مَكَانٌ خَفِيَ السِّرُّ

(١) الحُمَيرة: والحَمير: سيرٌ أبيض مقشور ظاهره تؤكد به السروج، ويُسمى: الأُشْكُز.
(انظر: لسان العرب، مادة: حمر). وهنا يبدو معنى الصغيرة حمراء اللحم.

حَبَطَتْ سِراً لَمْ يُغَيِّره كَمَن ... فَقِيلَ: هَلْ هَيَّمَك الفِكْرُ
فَقُلْتُ مَا لِي قُدْرَةٌ فَارفقوا ... عَلَيْه في الكونِ ولا صَبْرُ
فَإنَّ بالفِكْر إذا مَا أستوي ... في خلدي يتَّقدُ الجَمْرُ
فَيُصْبح الكُلّ حَرِيقاً ولا ... شفعٌ تَرى فِيه ولاَ وتْرُ
فَقِيل لي: مَنْ يَجْتَنِي زَهْرةً ... من قَالَ رِفْقاً إنَّني حُرُّ
مَنْ خَطَبَ الحَسْنَاء في خِدْرِهَا ... مُتَيَّماً لَمْ يُغْلها المَهْرُ
أعْطَيتُها المَهرُ وأنكحتُها ... في لَيْلَةٍ حتّى بَدا الفَجْرُ
فَلَمْ أجِدْ غَيْري فَمَنْ ذَا الذي ... أنْكَحته فَلْيَنْظُر الأمْرُ
فَالشَّمْسُ قَدْ أُدرج في ضَوْئها ... القَمرُ السَّاطع والزُّهرُ
فالدَّهرُ مَذْمُوم وقَدْ قَال ... مَنْ صَلّى عَلَيْه رَبُّكَ الدَّهْرُ

وإني أريد أن أظهر لك من العجائب ما تيسر، وأُمهِّدُ لك ما توغر، فوالله لو رأيت يا أخي حال العارفين إذ خرجوا من نفوسهم ودرجوا عن محسوسهم. فطهرت قلوب، وأظهرت غيوب، ورفعت أستار، واطلعت أنوار، وكانت التجليات على مقدار. فمن شاهد قدساً، ومن شاهد أنساً، ومن شاهد عظمة وجلالاً ومن شاهد ملاطفة وجمالاً ومن بهت عن أينية ومن خطفه في هوية، فلو اطلعت عليهم غيباً، لوليت منهم فراراً ولملئت منهم رعباً، لانعدامك عند تلك المشاهدة وتعذيبك، وسقوط قواك وحلّ تركيبك، فإذا سلكت باب المناصحة، شهدت الحق منك مكافحة، فتنشد عند ذلك ما يشوق السالك:

أتَاني الحَقُّ لَيْلاً مكلماً كِفَاحاً ... وأبْدَاه لَعَيْنَيَّ التواضعُ
وأرْضَعني ثَدْيَ الوُجودِ تَحَقُّقاً ... فَلا أنَا مَفْطُومٌ ولا أنَا رَاضِعُ
ولم أقْتُل القِبْطيّ لَكِنْ زَجَرْتُه ... بَعِلْمي فَلَمْ تَعْسُر عَلَيّ المَرَاضِعُ
وَمَا ذُبِحَ الأبْنَاءُ مِنْ أجْل سَطْوَتي ... وَلا جَاء شرِّيرٌ بِبَطْشي رَافِعُ
فَكُنْتُ كَمُوسَى غَيْرَ أنِّي رَحْمَةٌ ... لِقَوْمِي فَلَمْ تُحَرَّم عَلَيَّ المَرَاضِعُ
لَغَزْتُ أُمُوراً إنْ تَحَقَّقْتَ سِرَّها ... بِذَلِك عِلْم عِنْدَ رَبِّكَ نَافِعُ

فإذا كان الأمر العظيم في المسلك الموسوي، فما ظنك بالصراط السوي، والمسلك المحمدي.

ففي الصراط إشارة فتدبر العبارة، وانظرها آية وإمارة، واجعلها زنداً تقتبس ناره، فإن بالمزج والامتزاج العقار والحك يريك النار وها أنا إن شاء الله تعالى آت لك من السر المكنون والأكوان ما شاهده العين والمقام وما سبب البدوّ، ومن كان أول النشأة وكيف كان ذلك

الأول مشرق الأنوار وينبوع الأنهار، وعنه كان العرش والعالم الأوسط والفرش والجماد والحيوان وهو أول الأكوان. وأريك ذلك كله قد أودعه الرحمن في ذاتك، وجعله من جملة صفاتك.

فأنت المثل المشبه، وذلك المثل المنزه، فإن قلت وأين حظي من التنزيه، وحظه من التشبيه؟ فعند المواجهة والتوجيه، يتردد كل واحد منكما بين التنزيه والتشبيه. فإياك أن تغفل، عن فتح هذا الباب المقفل، والله يحسن عونك، وإذا فتح لك أن يديم صونك، وبدايتنا في هذا الكتاب إن شاء الله بمعرفة المعبود وأنه لا يعرف من ذاته سوى الوجود.

ثم بعد ذلك أتكلم فيما ذكرته، وأسوقه على ما شرطته، ومنه أملي وبه أستعين، وعليه أتوكل وعنه أبين، فأنا منه إليكم وإليه منكم. من غير إلى ومن، وأنا الأمين الحافظ المؤتمن وحسبنا الله ونعم الوكيل. والحمد لله رب العالمين والصلاة على خاتم النبيين محمد وآله وصحبه وسلم.

في معرفة الذات والصفات والأفعال(*)

بسم الله الرَّحْمَنِ الرَّحِيم

البحر المحيط الذي تسمع لموجه غطيط، في معرفة الذات والصفات والأفعال، أنكحتها بكر صهباء في لجة عمياء. وهي معرفة ذاته جلت عن الإدراك الكوني والعلم الإحاطي غطس الغاطس ليخرج ياقوتها الأحمر، في صدفة الأزهر، فخرج إلينا من قعر ذلك البحر صفر اليدين، مكفوف اليدين، أخرس لا ينطق، مبهوت لا يعقل، مكسور الجناحين، فسأل بعد ما رجع إليه النَّفَس وخرج من سدفة الغلس.

فقيل له: ما رأيك وما هذا الأمر الذي أصابك؟ فقال: هيهات لما يطلبون وبعد الماء يرومون والله لا ناله أحد ولا تضمن معرفته روح ولا جسد، وهو العزيز الذي يُدْرِك ولا يُدْرَك، والموجود الذي يَمْلِك ولا يُمْلَك.

إذاً حارت العقول وطاشت الألباب في تلقي صفاته، فكيف لها بدرك ذاته، ألا ترى حكم تجليه في ربوبيته في الأزل، كيف خر الكليم صعقاً وتدكدك الجبل، فكيف لو تجلى في هذه الربوبية من غير واسطة الجبل لنبيه موسى، لكان صاحب زمانه لا موسى، بعد اندكاك وهلاك، وبعث في نشأة مثليه وأفلاك، إذا كان تجلي الربوبية على هذا الحد، فأين أنت من تجلي الألوهية من بعد، وإذا كان هذا حظ المتبوع من الكليم، فكيف بحظ التابع الحليم. فقد رمزنا في الصفات أسراراً يعجز عنها اللبيب فلا يصل أحد إلا إلى ما قُدّر له منه.

(*) هذا العنوان من المحقق.

وأما معرفة الذات:

فمكتنفة بالنور الأضوائي في غمى[1]، محتجبة بحجاب العزة الأَحْمَى، مصونة بالصفات والأسماء، فغاية من غاب في الغيب، الوصول إلى أقرب ثوب، ونهاية الطلاب الوقوف خلف ذلك الحجاب هنا وفي الآخرة وفي النشأة الدنيوية وفي الحافرة، فمن رام رفعه أو تولى صدعه في أي مقام كان عدم من حينه، وطويت أرضه وسماه بيمينه، ورجع خاسراً أو بقي حائراً وكان قاسطاً جائراً، ورد إلى أسفل سافلين وألحق بالطين فمن كان من أهل البصائر والألباب، وتأدب بما يجب عليه من الآداب، أن وصل إلى ذلك الحجاب، الذي لا يرفعه سبحانه عن وجهه فكان يوقف على كنهه محال، فلا سبيل إلى رفع ذلك الحجاب بحال.

فإذا وصل إليه العاقل اللبيب الفطن المصيب وأفرغ عليه رداء الغيرة قال أغار عليه أن يعلمه غيره، فوقف خلف الحجاب وناداه باسمه الوهّاب أيها البعيد الأقرب إلينا من حبل الوريد. فيجيبه الحق بالمزيد وحقائق الوجود وتقدس وتنزه وتملك وتشبه وحل حيث شاء من جنة الصفات وارتاح في رياض الكلمات وجال وصال بالتجلي المتعالي لا يرد له أمراً، ولا يحجب عنه سراً، ونادى الحق من عرشه من عرش التنزيه خلف حجاب عزة التنويه: هذا عبدي حقاً، وكلمتي صدقاً، عرف فأصاب، وتأدب فطاب.

فليقل جميع ما تضمنته هذه الحضرة إليه، ولينصب ذلك كله بين يديه، ليأخذ ما شاء مختاراً ويترك ما شاء ادخاراً، فيؤتي الملك من شاء وينزع الملك مِمَّن شاء، ويعز من يشاء ويذل من يشاء بيده الخير وهو على كل شيء قدير[2] وهو الحكيم الخبير.

وهذا مقام الأدباء، ومنزل الأمناء، وحضرة اللقاء، وكل واحد من الواصلين إليه على قدر علمه، وقوة عزمه، وإن شملهم المقام وعمّ، فمنهم التام ومنهم الأتم، ومن هذا المقام يرجع صاحب الجماعة، وفيه يبقى من قامت في حقه الساعة فهو المنتهى الخاتم ومقام الجلال والإكرام.

وقلت:

مَـــــوَاقِـــــفُ الحَقِّ أَدَّبَـــــتْنِي ... وإِنَّمَـــا يـــوقَـــفُ الـــلَّـــبِـــيـــبُ

أَشْـــهَـــدَنِـــي ذَاتَـــهُ كِـــفَـــاحـــاً ... فـــلـــم أرَ شَـــمْـــسَـــهـــا تَـــغِـــيـــبُ

---

(١) في (ط) جاءت الجملة على هذا النحو: [وأمّا معرفة الذات فمتفقة بالنور الأصوافي عمى].

(٢) استند إلى معنى كامل في: القرآن الكريم، سورة آل عمران، الآية ٢٦، مدنية

واتــخــذت ذاتــنــا فــلــمّــا كــنــت أنَــا الــعَــاشــق الحَبِــيــبُ
أرَسَــلَــنِــي بــالــصِّــفــات كَــيْــمَــا يَــعْــرِفُــنــي الــعَــاقِــلُ المُصِــيــبُ
فَــيَــأخُــذُ الــسّــرَّ مِــنْ فُــؤادي فَــتَــفْــتَــدِي بــاســمــه الــقُــلُــوبُ

فإن قلت فأين معرفة الياقوت الأحمر المصون في الصدف الأزهر فأقول:

إن معرفة الياقوت الأحمر أن لا يعرف ولا يُحَدُّ ولا يوصف، فإذا علمت أن ثم موجوداً ألا يعرف، فقد عرفت وإذا أقررت بالعجز عن الوصول إلى كُنْهِهِ فقد وصلت فقد صحت الحقيقة لديك، واتضحت الطريقة بين يديك، فإنه من لم يقف على هذا العلم ولا قام به هذا الحكم يدوم ما لا يحصل له، وذلك لما ذهل عنه وجهله، فكفاك أن تعلم أن لا يعلم وهذا الحق قد انبلج صبحه فالزم، واقتد بالنبي والصدِّيق وإذا قال (صلى اللّه عليه وسلم): (**لا أُحصي ثناءً عليك أنت، كما أثنيت على نفسك**)[1].

وهذا غاية العجز، أو معرفة من وقف عند حجاب العز.

وقال الصديق الأكبر: **العجز عن درك الإدراك إدراك.**

فلا سبيل إلى الاشتراك، وليس بعد حجاب العزة الإلهية إلا الكيفية والماهية فسبحان من بعد وقرب، وتعالى ونزل، وعرفه العارفون على قدر ما وهب، وحسبُ كل عارف به ما كسب فكسب، وذلك من صفات السلب فغاية معرفتنا أنه موجود وأنه الخالق والمعبود، وأنه السيد الصمد المنزه عن الصاحبة والولد، وهذا كله راجع إلى التنزيه، وسلب التشبيه، فتعالى أن تعرف منه صفات الإثبات، وجلّ أن تدرك كنه جلاله المحدثات، وإذا كانت صفات الجلال لا يحاط بها، فكيف من قامت به واتصف بها، فجلّ الكبير المتعال العزيز الذي لا ينال، فبحر الياقوت الأحمر هو المسمى بـ ﴿**لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ**﴾[2]، و﴿**سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ العِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ**﴾[3]، فقد أشار إلى حجاب العزة الذي ذكرناه، والسر الذي وصفناه.

الصفات: لمحةُ بارق، وخيال طارق: قل للباحث على ما لا يصل إليه، والطالب فوق ما

---

(١) حديث: «**لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك**».
رواه **الإمام مسلم** في الصلاة ٢٢٣، ورواه **أبو داود** في الصلاة، ١٤٨، والوتر ،٥، ورواه **النسائي** في قيام الليل ٥١، ورواه **الترمذي** في الدعوات، ٧٥، ١١٢، ورواه **ابن ماجه** في الدعاء ٣، وفي الإقامة ١١٧، ورواه **الإمام مالك** في الموطأ مسّ القرآن ٣١، ورواه **الإمام أحمد بن حنبل** ٩٦/١، ١١٨، ١٥٠، ٥٨/٦.
(انظر: **المعجم المفهرس لألفاظ الحديث**، ٣٠٤/١، مادة: ثنى).

(٢) **القرآن الكريم**، سورة الشورى، الآية ١١، مكية.

(٣) **القرآن الكريم**، سورة الصافات، الآيات (١٧٨ ـ ١٨٠)، مكية.

يكفيه، هل عرف من الحق غير ما أوجده فيه. وإلاَّ فهل أثبت له ما لم يتصف به، وهل زلت في معرفته عن الأمر المشتبه إلا من طريق السلب والتنزيه، والتقديس ونفي التشبيه.

وإن قلت: هو الحي، المتكلم، القدير، المريد، العليم، السميع، البصير، فأنت كذلك.

وإن قلت: الرحيم القاهر حتى تستوفي أسماءه، فأنت هناك.

فما وصفته سبحانه بوصف إلا اتصفت به ذاتك، ولا تسميه باسم إلا وقد حصلت منه تخلقاً وتحققاً مقاماتك وصفاتك، فأين ما أثبت له دونك من جهة العين وغاية معرفتك به أن تسلب عنه نقائص الكون، وسلب العبد عن ربه تعالى ما لا يجوز عليه راجع إليه وفي هذا المقام.

قال من قال: سبحاني ما أعظم شأني.

دون شؤوني[1] هيهات وهل يُعَرَّى من شيء إلاَّ من لبسه؟ أو يؤخذ شيء إلا ممن حبسه؟ ومتى لبس الحق صفات النقص حتى تسلبها عنه أو تُعَرِّيه، والله ما هذه حالة التنزيه، وإنما الملحد الجاحد، حكم على الغائب بالشاهد، وظن أن ذلك نص فنسب إليه النقص، فإنما أنزّه نفسي أن أُلبس عليها ما لبسه هذا الملحد، وأُعرِّيها منه حتى أكون المحقق الموحد، فنفسي إذاً نزَّهَت وذاتي قدست، والباري سبحانه منزه عن التنزيه، فكيف عن التشبيه، فالتنزيه راجع إلى تطهير محلك لا إلى ذاته.

وهو من جملة مِنَحِهِ لك وهباته، فالحمد لله الذي قدسك وعلى ثوب التنزيه الذي ألبسك، ولولانا ما لاح لعينك من ذلك لمحة بارق وطرقك عند هجعتك منه خيال طارق، ما صحت لك هذه العناية ولا ألبسك ثوب الخلافة والولاية وخرجت بها في وجودك كما كنت عليه في الصفة العلمية، والمشيئة الاختيارية، سابقة قدم قبل خط القلم.

فاعلم أنك متصل به في الصفات المعنوية، من جهة الظلال من غير اتصال منفصل عنه بالصفات النفسية المجهولة في كل حال من غير انفصال، فلولا ما وصفك بأوصافه واعتنى بك في سورة إعرافه، وأنزلك فيها منزلة في وقت القبضتين والتعالي وقوله (**هؤلاء إلى الجنة ولا أبالي، وهؤلاء إلى النار ولا أبالي**)[2]، لما ارتفع عنه النفع والضرر، وتنزه عن صفات البشر.

---

(١) في النسخة (خ): قال سبحاني دون تواني.

(٢) حديث: «**هؤلاء إلى الجنة ولا أبالي...**».
(انظر: العجلوني: **كشف الخفاء**، ٢/٣٣٤ حديث (٢٨٨٩)).

فقال تعالى: ﴿وَعَلَى الأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلاً بِسِيمَاهُمْ﴾[1] وما كانوا له وفيه وما هم، وذلك لما خلق سبحانه وتعالى هذا الشخص الإنساني على صورته، وخصَّه بسريرته فصفات الحق صفات العبد، فلا تعكس فتنكس، فانظر إلى ما أشرنا إليه في هذه الشذور وتأمل ما وراء هذه الستور، وتحقق ما حصل عندك من معرفة الصفات وإياك والالتفات، فما عرفت قط صفة على الحقيقة من معبودك، وإنما عرفت ما تحصل من الأوصاف في أركان وجودك، فما زالت عنك، وما خرجت منك، التحقت صفاته بذاته فتنزهت عن تعلق علمك بماهيتها، واتصلت في ذلك معرفتك بذاتها، فأنت العاجز عنها، والواقف دونها، فعلى طريق التحقيق ما عرفت ربك من كل طريق، وما عرفت أيضاً سواه وما نزهت إلا إياه.

فإن قلت عرفته، قلت الحق وأنت اللاَّحقُ.

وإن قلت إنك لم تعرفه، قلت الصدق وأنت السابق.

فاختر النفي لنفسك أو الإثبات، فقد تنزهت الصفات، من تعلق العلم الحادث بها كما تنزهت الذات.

الأفعال: موج ضرب في الساحل وانصرف، وترك به اللؤلؤ والصدف فمنهم من زهد ومنهم من اغترف.

ولما كانت نجوم السماء السيارة تضاهي بعض الأسماء من باب الإشارة وهي باب في الأحكام، على ضروب وأقسام.

منها: ما هو لسلب النقائص والتشبيه ونفي المماثلة للتنزيه، وهو حظنا في هذا التركيب من علم الذات.

ومنها: ما هو شرط الألوهية.

ومنها: ما لا ينقص بعدمه لو جاز على الماهية وهو علم الصفات.

ومنها: ما هو لتعليق إيجاد العين، والتأثير في عالم الكون وهو صور الأفعال.

فنقول على الصراط السوي في اسمه تعالى: القدوس، العزيز، الغني، صفات جلال.

ونقول في اسمه تعالى: العليم، السميع، البصير، صفات كمال.

ونقول في اسمه تعالى: الخالق، البارىء، المصور، صفات أفعال.

---

(١) القرآن الكريم، سورة الأعراف، الآية ٤٦، مكية

وما فيها والحمد للّه صفة إلاّ ولنا فيها قدم، ولنا إليها طريق أم فهذا الباب لصفات الفعل وهو باب الطول والفضل والإنعام والبذل.

امتن سبحانه وتعالى أوّلاً بالإيجاب من غير أن يجب ذلك عليه، أو يضطره أمر إليه، بل كان مختاراً بين العدم والوجود، فاختار أحد الجائزين ترجيحاً وسعادة للعبيد، فعلق بنا القدرة بين العدم والوجود ولا بَيْنِيَّة، فبرز للعين عن تعلقها دون كيفية إذ كانت غير متعلقة بموجود، ولا أيضاً متعلقة بمفقود.

وهذا بحر ليس له قعر[1] فرددناه للفضل المتقدم، ولم أكن فيه بالجائز المتحكم. وذلك لو علمنا حقيقة القدرة الأزلية، وماهيتها في العالمية لعرفنا كيف تحققت، ومتى تعلقت، ولم نقدر في هذا الكتاب على قياس الغائب على الشاهد، لأنا ما اجتمعنا على معنى واحد. إذ ليس للقدرة الحادثة تعلق بإيجاد كون، وإنما هو سبب عادي لإبراز العين وحجاب نصبه الحق في أول الإنشاء، ليضل به من يشاء، ويهدي به من يشاء. والفعل قد يكون نفس المفعول بالتشبيه والاشتباه، كقوله تعالى: ﴿**هذا خلق اللّه**﴾[2].

أي: مخلوق اللّه.

وقد يكون عبارة عن الحالة عند تعلق الفاعل بالمفعول، وكيفية تعلّق القدرة الأزلية بالإيجاد الذي حارت فيه المشاهد والعقول وكل من رام الوقوف عليه نكص على عقبيه ورجع عن مذهبيه وهو قوله تعالى:﴿**ما أشهدتهم خلق السموات والأرض ولا خلق أنفسهم**﴾[3].

وقال في حق أنفسهم وأقدسهم حين قال: ﴿**رب أرني كيف تحيي الموتى**﴾[4].

فأراه آثار القدرة لا تعلقها فعرف كيفية الإنشاء، والتحام الأجزاء حتى قام شخصاً سوياً وما رأى تعلق قدرة ولا تحققها.

فقال له العليم الخبير: ﴿**اعلم أن اللّه عزيز حكيم**﴾[5].

لما تقدمه من صورة الأطيار، وتفريقه الأطوار. وكما نفخ المسيح في صورة الطين الروح وانتفض طيراً وأظهر في الوجود خيراً. فكان النفخ له حجاباً. وما فتح له من باب تعلق

---

(١) في (خ): (قرار).

(٢) **القرآن الكريم**، سورة لقمان، الآية ١١، مكية.

(٣) **القرآن الكريم**، سورة الكهف، الآية ٥١، مكية.

(٤) **القرآن الكريم**، سورة البقرة، الآية ٢٦٠، مدنية.

(٥) الآية السابقة وفي (خ) جاء الآتي: ﴿**اعلم أن اللّه على كل شيء قدير**﴾ ﴿**عزيز حكيم**﴾. هكذا في المخطوطة.

القدرة باباً، ولذلك يقول لمن يشاء اللّه تعالى أن يقول للشيء كن فيكون. ذلك عند أمره وينفرد الحق بسر نشئه ونشره، فالتفاضل بين الخلق، إنما هو في الأمر الحق. فشخص يكون أمراً ربانياً لتحققه فيكون عنه ما يشاء. وآخر غير متحقق ليس له ذلك. وإن كان قد ساواه في الإنشاء، فسبحان من أفرد بالاختراع والخلق، وتسمى بالواحد الحق، لا إله إلاّ هو العزيز الحكيم.

محاضرة أزلية على نشأة أبدية

اجتمعت الأسماء بحضرة المسمى اجتماعاً وترياً منزهاً عن العدد، في غير مادة ولا أمد. فلما أخذ كل اسم [فيها مرتبته ولم يعد منزلته، فتنازعوا الحديث دون محاورة وأشار كل اسم][1] إلى الذي بجانبه دون ملاصقة ولا مجاورة وقالوا[2]: يا ليت شعرنا هل يتضمن الوجود غيرنا فما عرف واحد منهم ما يكون «إلا اسمان» أحدهما العلم المكنون فرجعت الأسماء إلى الاسم العليم الفاضل.

وقالوا: أنت لنا الحكم العادل.

فقال: نعم بسم اللّه وأشار إلى الاسم الجامع الرحمن، وأشار إلى الاسم التابع الرحيم، وأشار إلى الاسم العظيم وصلى اللّه ورجع إلى الجامع من جهة الرحمة على النبي وأشار إلى الاسم الخبير، والعليم محمد الكريم وأشار إلى الاسم الحميد، خاتم الأنبياء، وأول الأمة وصاحب لواء الحمد[3] والنعمة، فنظر من الأسماء من لم يكن له فيما ذُكر[4] حظ، ولا جرى عليه من أسماء الكريم لفظ.

وقال العليم: من ذا الذي صليت عليه، وأشرت في كلامك إليه وقرنته بحضرة جمعنا، وقرعت به باب سمعنا، ثم خصصت بعضنا بالإشارة والتقييد إلى اسمه الرحيم والحميد، فقال له: يا عجباً وهذا هو الذي سألتموني عنه أن أبينه لكم تحقيقاً، وأوضح لكم إلى معرفته

---

(١) ما بين المعقوفتين سقط من (خ) واستدرك على الهامش تصحيحاً.

(٢) عائد على جمع الأسماء حين أشار كل اسم إلى الذي بجانبه، وكأنما نطقوا جميعاً في هذا الاجتماع الأسمائي. ويجوز ما في (ط): (قالت) عائدة على الأسماء أيضاً (قالت الأسماء) مثل (قالت الأعراب).

(٣) حديث: **«بيدي لواء الحمد ولا فخر»**.

أورده العجلوني في **كشف الخفاء**، حديث رقم (٦١٦). وفيه [**أنا سيد الناس يوم القيامة...**] الحديث. وقال: رواه مسلم، وأبو داود، عن أبي هريرة (رضي اللّه عنه) وهو عن أحمد والترمذي وابن ماجه عن أبي سعيد رضي اللّه عنه بزيادة [**ولا فخر وبيدي لواء الحمد ولا فخر، وما من بني آدم فمن سواه إلاّ تحت لوائي، وأنا أول من تنشق عنه الأرض ولا فخر، وأنا أول شافع وأول مشفّع**].

(انظر: **كشف الخفاء**، ٢٠٣/١).

(٤) في (ط): (فيما ذكره العليم).

طريقاً، هو موجود يضاهيكم في حضرتكم، وظهر عليه آثار نفحتكم، فلا يكون في هذه الحضرة شيء إلاّ ويكون فيه، ويحصله ويستوفيه، ويشارككم في أسمائكم، ويعلم بي حقائق أنبائكم، وعن هذا الموجود المذكور، الصادر من حضرتكم، وأشار إلى بعض الأسماء منها الوجود والنور، يكوّن هذا الوجود الكنه والكيف والأين وفيه يظهر بالاسم الظاهر حقائقكم، وإليه بالاسم المنّان وأصحابه تمتد رقائقكم، فقالوا أنبهتنا عن أمر، لم نكن به عليماً وكان هذا الاسم إشارته إلى المتفضل علينا عظيماً، فمتى يكون هذا الأمر، ويلوح هذا السر؟

فقال: سألتم الخبير، واهتديتم بالبصير، ولسنا في زمان فيكون بيننا وبين وجود هذا الكون مدة وأوان، فغاية الزمان في حقنا ملاحظة المشيئة حضرة القديم والنسبة، فتعالوا نسأل هذا الاسم الأحاطي في جنسه، المنزه في نفسه، وأشار إلى المريد.

فقيل له: متى يكون علام التقييد في الوجود الذي يكون لنا فيه الحكم والصولة وتجول بظهور آثارنا عليه الكون على ما ذكره الاسم العليم حوله؟

فقال المريد: وكأن به قد كان، ويوجد في الأعيان.

وقال الاسم العليم: ويسمى الإنسان، ويصطفيه الاسم الرحمن، ويقبض عليه الاسم المحسن، وأصحابه سوابغ الإحسان فأطلق اسم الرحمن محيا وحيا المحسن وبياه، وقال نعم الأخ ونعم الصاحب، وكذا الاسم الواهب فقال اسم الوهاب فقال أنا المعطي بحساب وغير حساب فقال الاسم الحبيب أقيد عليكم ما تهبونه، وأحسب عليكم ما تعطونه بشهادة الاسم الشهيد فإني صاحب الضبط والتقييد، غير أن الاسم العليم قد يعرف المعطي له ما يحصل له في وقت، ويبهم عليه الاسم المزيد، في وقت إبهاماً يعلمه ولا يمضيه ويريد الشيء ويريد ضده، فلا يقضيه، فلا زوال لي عنكما ولا فراق لي منكما فأنا لكم لزيم ونعم الجار والحميم.

فوزعت الأسماء كلها مملكة العبد الإنساني على هذا الحد الرباني وتفاخرت في الحضرة الإلهية الذاتية بحقائقها وبينت حكم مسالكها وطرائقها وعجلوا في وجود هذا الكون رغبة في أن يظهر لهم عين، فلجوا إلى الاسم المريد الموقوف عليه تخصيص الوجود.

وقالوا: سألناك بهذه الحضرة التي جمعتنا وتحقيق الذات التي شملتنا إلاَّ ما علقت نفسك بهذا الوجود المنتظر فأردته، فأنت يا قادر سألتك بذلك إلاّ ما أوجدته، وأنت يا حكيم سألتك بذلك إلاَّ ما أحكمته، وأنت يا رحمن سألناك إلاَّ ما رحمته، ولم تزل تسأل كلها واحداً واحداً قائماً قاعداً.

فقال له القادر: يا إخواننا على المريد بالتعلق وعليَّ بالإيجاد.

وقال الحكيم: على القادر بالوجود، وعليَّ بالإحكام.

فقام الرحمن وقال: عليَّ بصلة الأرحام فإنه سجنه مني فلا صبر له عني.

فقال له القادر: كل ذلك تحت حكمي وقهري.

فقال القاهر: لا تفعل إن ذلك لي، وأنت خديمي، وإن كنت صاحبي وحميمي.

فقال العليم: أما الذي قال تحت حكمي فليقدم علمي فتوقف الأمر على جميع الأسماء، وإن بجملتها وجود عالم الأرض والسماء وما بينهما إلى مقام الاستواء.

ولو فتحنا عليك باب توقفها والتجائها بعضها إلى بعض لرأيت أمراً يهولك منظره ويطلب لك مخبره ولكن فيما ذكرناه تنبيه على ما سكتنا عنه وتركناه.

فلنرجع ونقول ﴿**والله يقول الحق وهو يهدي السبيل**﴾[1] فعندما وقع هذا الكلام الأنفس، في هذا الجمع الكريم الأقدس، تعطشت الأسماء إلى ظهور آثارها في الوجود ولا سيما الاسم المعبود ولذلك خلقهم سبحانه وتعالى ليعرفوه بما عرفهم ويصفوه لما وصفهم فقال:

﴿**وما خلقت الجن والانس إلا ليعبدون ما أريد منهم من رزق وما أريد أن يطعمون**﴾[2] فلجأت الأسماء كلها إلى اسم الله الأعم والركن القوي الأعظم.

فقال: ما هذا اللجأ ولأي شيء هذا الالتجاء؟

فقالت[3]: أيها الإمام الجامع لما نحن عليه من الحقائق والمنافع ألست العالم أن كل واحد منا في نفسه على حقيقة وعلى سُنَّة وطريقة، وقد علمت يقيناً أن المانع إدراك الشيء مع وجود النظر كونك فيه الأكثر، فلو تجرد عنك بمعزل، لرأيته وتنزهت بظهوره، وعرفته ونحن بحقائقنا متحدون لا نسمع لها خبراً، ولا نرى لها أثراً.

فلو برز هذا الوجود وظهر هذا العالم الذي يقال له العلوي والسفلي، لامتدت إليه رقائقنا وظهرت فيه حقائقنا، فكنا نراه مشاهدة عين، لما كان منا في أين، وفي حال فصل بين، ونحن باقون على تقديسنا من الأينية وتنزيهنا عن إحاطتهم بنا من جهة الماهية الكيفية فغايتهم أن يستدلوا برقائقنا على حقائقنا استدلال مثال، وطروق ببال، وقد لجأنا إليك مضطرين، ووصلنا إليك قاصدين.

---

(١) **القرآن الكريم**، سورة الأحزاب، الآية٤، مدنية.

(٢) **القرآن الكريم**، سورة الذاريات، الآيتان (٥٦، و٥٧)، مكية.

(٣) أي: الأسماء كلها.

فلجأ الاسم الأعظم إلى الذات كما لجأت الأسماء والصفات، وذكر الأمر وأخبر السر فأجاب نفسه المتكلم بنفسه العليم، إن ذلك قد كان بالرحمن فقل للاسم المريد يقول للقائل يأمر يكن، والقادر يتعلق بإيجاد الأعيان، فيظهر ما تمنيتم، ويبرز لعيانكم ما اشتهيتم فتعلقت بالإرادة والعلم والقول والقدرة، فظهر أصل العدد والكثرة وذلك من حضر الرحمة، وفيض النعمة، أصل الإبداء وأول الإنشاء نشأ سيدنا محمد (صلى اللّه عليه وسلم) على أكمل وجه وأبدع نظام.

بحرُ اللؤلؤ والمرجان المودع في العالم الأكبر والإنسان

ولما تعلقت إرادة الحق سبحانه بإيجاد خلقه وتقدير رزقه برزت الحقيقة المحمدية من الأنوار الصمدية، في الحضرة الأحدية. وذلك عندما تجلى لنفسه بنفسه من سماء الأوصاف، وسأل ذاته بذاته موارد الألطاف في إيجاد الجهات والأكناف.

فتلقى ذلك السؤال منه إليه بالقبول والاسعاف فكان المسؤول والسائل والداعي والمجيب والمنيل والنائل. فكمن فيه كمون تنزيه ودخل جوده في حضرة علمه فوجد الحقيقة المحمدية، على صورة حكمه فسلخها من ليل ذاته فكانت نهاراً، وفجَّرها عيوناً وأنهاراً، ثم سلخ العالم منها فكانت سماء عليهم مدراراً. وذلك أنه سبحانه اقتطع من نور ذاته قطعة لم تكن متصلة فتكون عنه عند التقاطع منفصلة، ولكن لما فطره سبحانه وتعالى على الصورة فصار كان ثم جنساً يجمعها ضرورة فكان قطع هذا النور المنزل والممثل من ذلك الجنس المتخيَّل والباري منزه في نفسه، عن قيام الفصل به والوصل والإضافة بالإنسان إلى جنسه، فهو قطع مثلي أبدي أحدي عن معنى أزلي فكان لحضرة ذلك المعنى باب وعلى وجهها حجاب.

ثم إن الحق صيَّرَهُ حجاباً لا يرفع وباباً لا يُقرع ومن خلف ذلك الحجاب يكون التجلي ومن وراء ذلك الباب يكون التدلّي، كما إليه ينتهي التداني والتولّي، وعلى باطن ذلك الحجاب يكون التجلي في الدنيا للعارفين ولو بلغوا أعلى مقامات التمكين وليس بين الدنيا والآخرة فروق العارفين في التجلي عن غير الإحاطة بالحجاب الكُلّي، وهو في حقنا حجاب العزة، إن شئت رداء الكبرياء، كما أن ذلك الحجاب يكون تلجي الحق له خلف حجاب البهاء وإن شئت قلت رد الثناء، وما ذكرناه زبدة الحق اليقين، وتحفة الواصلين.

فلنرجع إلى ما كنا بسبيله من حسن النشء وقَبيله فنقول على ما قدمنا في حق الحق من

التنزيه ونفي المماثلة والتشبيه إنه سبحانه لمَّا اقتطع القطعة المذكورة مضاهية للصورة أنشأ منها محمد (صلى اللّه عليه وسلم) على النشأة التي لا تنجلي أعلامها ولا تظهر في صفاته إلا أحكامها ثم اقتطع العالم كله تفصيلاً على تلك الصورة وأقامه متفرقاً على غير تلك النشأة المذكورة إلاّ الصورة الآدمية الإنسانية فإنها كانت ثوباً على تلك الحقيقة المحمدية النورانية، ثوباً يشبه الماء والهواء في حكم الدقة والصفاء، فتشكل بشكله فلذلك لم يخرج في العالم غيره على مثله. فصار حضرة الأجناس إليه يرجع الجماد والناطق والحساس وكان محمد (صلى اللّه عليه وسلم) نسخة من الحق بالأعلام، وكان آدم نسخة منه على التمام. وكُنَّا نحن نسخة منهما عليهما السلام، وكان العالم أسفله وأعلاه نسخة منا وانتهت الأقلام غير أن في نسختنا من كتابي آدم ومحمد سراً شريفاً ومعنًى لطيفاً.

أما النبيون المرسلون وغير المرسلين، والعارفون، والوارثون منا فنسخة منهما على التمام والكمال.

وأما العارفون والوارثون من سائر الأمم، والمؤمنون منا فنسخة من آدم وواسط (محمد) عليه السلام في حضرة الجلال.

وأما أهل الشقاوة والشمال فنسخة من طين آدم لا غير. فلا سبيل لهم إلى خير. فتحقق أيها الطالب هذه النسخة تعش سعيداً وتكون في زمانك فرداً وحيداً.

فالحقيقة المحمدية المنبَّه عليها ﴿**ليس كمثله شيء**﴾[1] وما نزل عليها من النسخ فعدم، وليل، وظل وفي أربعة الأربعة والحقيقة منزهة مرتفعة، ثم خلق الخلق وفتق الرتق، وقدر الرزق، ومهد الأرض، وأنزل الرفع والخفض، وأقام النشأة الآدمية والصورة الإيهامية، وجعلها تتناسل وتتفاضل وترافع وتتنازل إلى أن وصل أوانه وجاء زمانه فصيّر العالم كله في قبضته ومحضته فكان جسم محمد (صلى اللّه عليه وسلم) زبدة محصنة، كما كانت حقيقة أصل نشأته فله الفضل بالإحاطة وهو المتبوع بالوساطة إذ كان البداية والختم ومحل الإفشاء والكتم، فهذا هو بحر اللالىء دليل النواشىء، وقد تمهد فاستره وتجسد فأخبره، فقد حصل في علمك منشأ أول موجود وأين مرتبته من الوجود ومنزلته من الوجود ثم علّق العالم به تعلق اختيار الحق، لأنه استوجبه في حُبّه بحق حتى يصبح أنه تعالى المنعم المتفضِّل ابتداء على من شاء بما شاء لاحقه، ولما كان من العالم دورياً ومنشأه فلكياً رجع العود على البدء واستوى الكل في منشأ، وصار اللابس ملبوساً والمعقول محسوساً فوجود أسرار الكون الأكبر في العالم الأصغر إعادة وهو لها إشارة.

---

(١) **القرآن الكريم**، سورة الشورى، الآية ١١، مكية.

﴿كما بدأكم تعودون﴾[1] ﴿ولقد علمتم النشأة الأولى فلو لا تذكّرون﴾[2] ولهذا جعلها المحجوبون كَرّةٌ خاسرة فقالوا: ﴿أئنا لمردودون في الحافرة﴾[3] فليس هناك في النشأة حقيقة زائدة سوى أعراض واردة.

إشارة

وإن كان قد تبين فيما تقدم معناها ولكن منتهاها هل الإنسان معدوم في العالم الأكبر وهو منفصل عنه بمقامه الأزهر، فإنه آخر موجود حساً وأول موجود نَفْساً. فإن كان من جملة العالم الأكبر فأين نسخته، وإن لم يكن من جملته فعلى أي نسبة يخبر به عنه فحدّد البصر، وردِّد النظر، وخلّص الذكر والمغالبة واستغنِ بالفكر والمراقبة، وتهيأ للقبول بما يرد عليك به الرسول (صلى اللّه عليه وسلم) فستقف من ذلك على جلاء، وسيكشف عن عينك غطاء العمى وهذه نكتة فاعرف قدرها وحقق أمرها، فهي زبدة الأمر وخفيّ السر.

وإن شئت أن أنبئك فاسمع وحصّل ما أشير به إليك واجمع العالم في الأين والإنسان في العين، فإن كنت في الأين فأنت منه، وإن كنت في العين، فلا يُخبرنّكَ عنه، ولست بحقّ في عدم الأين، ولكنك برزخ الآمرين، صاحب لقاء وإلقاء وسيد نزول والتقاء برزخ فانظر أينك وحقق عينك وأنا المبر أمر تأويلك والمقدس عن تفضيلك إلا إن وافقت أمر الحق وألحقني بالخلق وهذا لب لمن كان له قلب قشر عليه لئلا يتوصل من ليس من أهله إليه. وذلك أن العالم بما فيه من جميع أجناسه ومبانيه، وأسافله وأعاليه، ليس الإنسان بشيء زائد على جميع تلك المعاني عند افتراقها، وشمل تلك الأجناس والعيون عند اتفاقها فعلى هذا الوجه صح للعارف سلخه فكان له أكبر نسخة، حظ الإنسان من العالم.

واعلم أن الإنسان على ما اقتضاه الكشف والعلم روح العالم، والعالم الجسم فهو الآن روح العالم الدنياوي وبه بقاؤه، وبه فتق أرضه وسماءه والعالم الأخروي إلى أن ينفتح فيه الأمر الرباني هذا الروح الإنساني فهو الآن كصورة آدم قبل نفخ الروح، أو الأرض قبل إشراق نُوح فإذا أخذ هذا النشأ الإنساني من هذا العالم الدنياوي، تهدمت بنيته، وتخربت أفنيته، ونفخ في العالم الأخروي، فَحَيَتْ به الجنَّة، وكانت له كالدنيا ستراً وجُنَّة والروح المضاف إلى الحق الذي نفخ فيه من عالم الخلق هي الحقيقة المحمدية القائمة بالأحدية، فعلى هذا الحد هو الإنسان في الدارين، وظهوره في العالمين نشأ العالم من الحقيقة المحمدية نشأ ما

---

(١) جزء من الآية ٢٩، من سورة الأعراف، مكية.

(٢) **القرآن الكريم**، سورة الواقعة، الآية ٦٢، مكية.

(٣) **القرآن الكريم**، سورة النازعات، الآية ١٠، مكية.

للعرش منها لؤلؤة كان الغرض أن أجعل إلى جانب كل لؤلؤة في هذا الباب مرجانتها أو مع كل بداية نهايتها أو غايتها غير أن هذا الفصل لما كان لبيان ما تعدّد عن ذات واحدة، وظهر عنها من أجناس متباعدة أردت أن أكمل لآلئه على نسق، وأجعلها طبقاً تحت طبق، حتى تأتي على آخر الكون، رغبة أن لا يتحير الناظر فيه فتذهب عنه أكثر معانيه، فإن استوفيت إن شاء اللّه لآلئَهُ، ورتبت نواشئهُ، وعرف الطالب مغزاه وتبين معناه أخذنا في سياق مرجانِهِ على ترتيب لآلئه.

المرجانة الأولى للؤلؤة الأولى

من هذا الفصل على أحسن نظم وأبدَع صنع وأحكم وصل.

فأقول: إن (سيدنا) محمد (صلى اللّه عليه وسلم) لما أبدعه الحق سبحانه وتعالى حقيقة مثلية وجعله نشأة كلية، حيث لا أين ولا بين. وقال له أنا الملك وأنت الملك.

وأنا المدبر، وأنت الفلك وسأقيمك فيما يتكون عنك من مملكة عظمى، وطامة كبرى، سايساً ومدبراً، وناهياً، وآمراً. تعطيها على حدٍّ ما أعطيتك وتكون فيهم كما أنا فيك، فليس سواك كما لست سواي. فأنت صفاتي فيهم وأسمائي، فحد الحد، وأنزل العهد، وسأسألك بعد التنزيل والتدبير عن النقير والقطمير، فتفصَّدَ لهذا الخطاب عرقاً حياً، فكان ذلك العرق الطاهر ماء، وهو الماء الذي نبأ به الحق تعالى في صحيح الأنباء فقال سبحانه ﴿**وكان عرشه على الماء**﴾[1]، وهو منتهى الخلاء إلاّ ما كان هنالك من زعزع مستطر، حامل لهواء مستقر، ليس وراء ذلك وراء يكون فيه خلاء أو ملاء.

لؤلؤة نشأة الملأ الأعلى وهو بالمنظر الأجلى

[ثم انبجست منه صلى اللّه عليه وسلم عيون الأرواح][2]، فظهر الملأ الأعلى وهو بالمنظر الأجلى، فكان لهم المورد الأحلى فكان (صلى اللّه عليه وسلم) الجنس العالي إلى جميع الأجناس والأب الأكبر إلى جميع الموجودات والناس، وإن تأخرت طينته فقد عرفت قيمته، فلما وقع الاشتراك مع الأملاك في عدم الأين، حتى كأنهم في العين أراد (صلى اللّه عليه وسلم) التفرد بالعين وتحصيل الملأ الأعلى في الأين.

لؤلؤة نشأة العرش منه (صلى اللّه عليه وسلم)

فَلمّا علم الحق سبحانه وتعالى إرادته، وأجرى في إمضائها عادته. نظر إلى ما أوجد

---

(١) القرآن الكريم، سورة هود، الآية ٧، مكية.

(٢) ما بين المعقوفتين سقط من (خ).

في قلبه من مكنون الأنوار، رفع عنها ما اكتنفها من الأستار، فتجلّى له من جهة القلب والعين، حتى تكاثف النور من الجهتين، فخلق سبحانه وتعالى من ذلك النور المنفهق عنه (صلى اللّه عليه وسلم) العرش، وجعله مستواه وجعل الملأ الأعلى وغيره مما ذُكِر ما احتواه، لكنهم منه (صلى اللّه عليه وسلم) بالموضع الأدنى ومن مستواه بالتجلي الأسنى فحصلوا في أيْنيَّة الحصر، وتمكنوا من قبضة الأسر، وانفرد (صلى اللّه عليه وسلم) في مستواه بمن اجتباه ومن اصطفاه وصيّره الحق تعالى خزانة سره وموضع نفوذ أمره، فهو المعبر عنه (بكُن) فلا ينفذ أمر إلا منه، ولا ينقل خبر إلا عنه، وهو حجاب تجليه وصياغة تحليه، وترقي تدانيه وتلقي تدليه.

لؤلؤة نشأ الكرسيّ منه (صلى اللّه عليه وسلم)

ثم نظر طالباً أين يضع قدميه، وأين موضع نعليه؟ فانبعث من تلك الطرقة أشعَّة في الخلاء، استدارت أنوارها؛ كاستدارة المرأة، لطيفة الكيف، فارغة الجوف، معلومة المنازل عند السالك والراحل.

فجعل ذلك الكور، وأنشأ ذلك الدور كرسيّاً لقدميه، وحضرة لنفوذ ما يصدر من الأمر بين يديه، فيخرج الأمر منه متحد العين، حتى إذا وصل الكرسي انقسم قسمين. إذ كان المخاطب من ذلك الموضع، إلى أقصى الأسفل موجود بين اثنين، وإن كان واحداً، فمن جهة أخرى، وعلى ذلك الواحد، تتابع الرسل تترى. فإن المخاطب بجميع الأشياء إنما هو الإنسان، ليس ملك ولا جان، فإن الملك والجان جزء منه، وأنموذج خرج عنه. فله بعض الخطاب، والإنسان كلّي الكتاب؛ المنبّه عليه بقوله: ﴿**ما فرَّطنا في الكتاب من شيء**﴾[1].

ثم عمَّمَ بقوله: ﴿**ثم إلى ربهم يحشرون**﴾[2].

كما نبّه على الحقيقة المحمدية، التي هي أصل الإنشاء، وأول الابتداء فقال: ﴿**وعنده أمُّ الكتاب**﴾[3].

فنحن الكتابُ الأجلى، وهو الأمُّ الأعلى.

فالإنسان: الكتاب الجامع، والليل المظلم والنهار المشرق الساطع.

فمن علو مرتبه، وسمو منزلته، وأنه:

---

(١) **القرآن الكريم**، سورة الأنعام، الآية ٣٨ ، مكية.

(٢) الجزء الثاني من الآية السابقة.

(٣) **القرآن الكريم**، سورة الرعد، الآية ٣٩، مدنية.

ـ واحدٌ بالنظر إلى معناه.

ـ واثنان بالنظر إلى حاله.

ـ وثلاثة بالنظر إلى عالمه.

ـ وأربعة بالنظر إلى قواعده.

ـ وخمسة بالنظر إلى مملكته.

ـ وستة بالنظر إلى جهاته.

ـ وسبعة بالنظر إلى صفاته.

ـ وثمانية بالنظر إلى نسخته.

ـ وتسعة بالنظر إلى مراتبه.

ـ وعشرة بالنسبة إلى إحاطته.

ـ وإحدى عشرة بالنظر إلى ولايته.

* وهو روح القُدس، فإن أمدَّه هذا الروح من غير كشف ملكي وهو تابع لغيره، فهو صدّيق. وهي المنزلة الحادية عشرة في الإنسان.

وإن أمدَّه على الكشف الملكي، وهو أيضاً تابع، أو لا تابع ولا متبوع، فهو نبيٌّ. وهي المنزلة الثانية عشرة في الإنسان.

وإن أمدَّه على الكشف الملكي، وهو متبوع ولا تابع فهو الرسول وهي المنزلة الثالثة عشرة في الإنسان بتمام وجود الإنسان.

وبه تمَّ الوجود في العشرة، ثم جاء الحادي عشر نظير الأول، ـ إن تأملت ـ ومنعطف عليه.

ونظير الثاني عشر، والثالث عشر نظير الثاني والثالث من البسائط وتبيين ذلك في الوسائط.

فاعتكفت ملائكة التقييد على خدمته لا حظِّه، لما يصدر منه في العلوم لاحظة حافظة.

* **فإن قيل:**

هذا الكرسيّ الأعلى، فأين اللوح المحفوظ، والقلم الأعلى؟

وأين الدَّواة واليمين، وكيفية كتابة التعيين؟

فنقول:

تركنا تعيين ما ذكرته موقوفاً على نفسك، حتى تطلع على ذلك ببصرك عند شروق شمسك. وقد نبَّهنا عليه في هذا الكتاب بالتضمين لا بالتعيين. فاشحذ فؤادك، وقوِّ اجتهادك، عسى اللّه أن يفتح لك باباً من عنده، عند مواظبتك على الوفاء بالعهود، أو بعهده، والتصديق بوعيده ووعده.

لؤلؤة الأفلاك

وهي أرواح السموات، يُنشىءُ السبع الطرائق والكواكب منه. فلما كمل هذا الكرسي، واستقر فيه الملأ الأمري أحال أنوار السبعة الأعلام، وكان عنها السبع طرائق متماسة الأجرام. جعلها سقفاً مرفوعاً لمهاد سيكون إذا توجه عليها الأمر.

بقوله تعالى: ﴿كن فيكون﴾(١).

وكواكبها منتهى الأشعة في الخلاء على الاستيفاء فسطعت الأنوار، وتجارت، وانتشأت الأفلاك، واستدارت، وبقي منتهى الأشعة على أصله نيِّراً في محلّه.

فالأفلاك اتصال أشعّة الأنوار المحمدية، والمقامات الأحمدية ويرجع صغر حجم الكواكب، وكبرها لمسامتة ذاته المشرَّفة، وينابيعه المنفهقة، وعلَّة دور الأفلاك الإحاطية، التي اتصف بها الوسائطية وتحريكها بالتماس شروط على عقد مربوط.

واختصت كواكب المنازل بالكرسي الكريم، لما كان المقام، يُفْرَقُ فيه كل أمر حكيم، فتنبَّه يا غافل، وتدبَّر يا عاقل لهذا السرِّ المصون والكتاب المكنون، الذي لا يمسُّه إلاَّ المطهَّرون.

ولمَّا استدارت هذه الأفلاك مجوّفة، واستقرّت بساحاتها عوالم الأفلاك متجوفة، وكملت البنية في النشأة العلوية، واستمرت وطلب التأثير أينيَّة، فلم يَجد، فرجع فقيراً إلى حجاب الأحدية، فجثا عند قدمها راغباً، ولمملكته منها طالباً، وصحت ملائكة السماء، وما بقي هناك سرّ الأسماء، لوجود الأرض، والماء، والنار، والهواء.

لؤلؤةُ نَشْأ العَناصِر الأُوَلِ مِنْهُ (صلى اللّه عليه وسلم)

فنظر (صلى اللّه عليه وسلّم) ذاته بعين الاستقصاء، إذ قد أنشأه الحق محل الإحصاء، ثم نظر ما وجد عنه، فوجد الملأ الأعلى، والملأ الأدنى، وفقد العالم الأوسط والأقصى فأخذ يدبر إيجاد أصول الكون الأسفل، والنور الأنزل، إذ لا بد لكل علوٍّ من سُفْل، ولكل طيب من تفل.

(١) القرآن الكريم، سورة البقرة، الآية ١١٧، مدنية. وغيرها كثير.

ففيض عليه ـ للحق سبحانه ـ عند هذه النظرة، ومن وراء هذه الخطرة فيض الجلال والهيبة ليخرج ما بقي من الأشعة في تلك الغيبة.

فعندما اشتد عليه الأمر، وقوي عليه القهر، فظهر عليه العدل والأمر، رشح منه تلك الضغطة، فكان ذلك الرشح ماءً، ثم نفس عنه يسير التنفّس، فكان ذلك النفس هواءً، ثم أوقفه على سر الجهة التي فيها فلاحَ له ميزان العدل، قائماً على نصب ذاته فزَفَرَ زَفْرةً فكانت تلك الزفرة ناراً، فسُتر عنه ميزان العدل بحجاب الفضل، فوجد برد الرحمة، فيبس ما بقي من الرشح بعد قطرة، فكان ذلك اليبس والبرد أرضاً قراراً.

ثم ناداه من حضرة العين: يا محمد. هذه أصول الكون فصرها إليك، ثم امزج بعضها في بعض، فيكون منها عالم الهواء والأرض، والجامع لهؤلاء العوالم: الإنسان.

وهو الذي أشار إليه العارف بقوله: لا أبدع من هذا العالم في الإمكان. فيكون فيه الخلاف والمثل وظهرت الصورة والشكل، وكل خلق بالإضافة إلى ما خلق منه يسير، وإلى ما كوّن منه بعد انحلاله يصير، وستعلم أن في قوله تعالى: **﴿لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم، ثم رددناه أسفل سافلين﴾**[1].

إلى ما خلق منه من طين. **﴿إلاَّ الذين آمنوا وعملوا الصالحات﴾**[2].

فعرف من أين جاء وزال الظل، ثم قال: **﴿فلهم أجرٌ غير ممنون﴾**[3]. مشاهدة تمكين. **﴿فما يكذبك بعد بالدين﴾**[4] عند مكاشفة التعيين: **﴿أليس اللّه بأحكم الحاكمين﴾**[5]. بين المتنازعين من أهل البرازخ، بين الشمائل واليمين.

فصُنْ هذه الدُّرَر، وتكتّم بها واستتر.

لؤلؤة نشْأُ الدخان الذي فتق به السموات العُلى والأرض السُّفْلى

ولمَّا خلق اللّه هذه العناصر الأُوَل، على الخلق الذي قدره في الأزل، جعلها سبعاً طباقاً، وأسكنها أقواتاً وأرزاقاً، كما أسكن الطباق العُلى معارفاً وأخلاقاً. فتماسَّت طباق الأرض وحكّ بعضها في بعض فتولد بينهن لهب، ذو سبع شعب كل شعبة من جنس أهلها (أرضها).

---

(١) **القرآن الكريم**، سورة التين، الآيتان (٤، ٥)، مكية.
(٢) **القرآن الكريم**، سورة التين، الآية ٦.
(٣) آخر الآية السابقة.
(٤) **القرآن الكريم**، سورة التين، الآية ٧.
(٥) **القرآن الكريم**، سورة التين، الآية ٨.

ولذلك تميز بعضها من بعضها فَعَلا من كل لهب دُخان مختلط، ففتق فلك الماء والهواء والنار، وما زالت أفلاك الذراري والأنوار، مرتوقة الشُّعب، منزوعة اللهب، ففرقت أفلاك النيّرات بحقائقها، فكان فتقاً، فصعد صعداً هيولانياً فصيّره الحق عند هذه الأسباب صوراً وخلقاً، فأداره سبع طرائق، وجعل الأفلاك أرواحاً لهن، وحقائق.

فقال تعالى: ﴿ثم استوى إلى السماء وهي دُخَان فقال لها وللأرض..﴾[1] الآية.

وقال: ﴿فقضاهن سبع سموات في يومين﴾[2].

بعدما خلق الأرض، وقدَّر فيها القوت في أربعة أيام، وذلك لكثافة الأجرام، فإنها أربعة عناصر مختلفة الأوامر.

ولما كان الدخان من نار السبع الطباق الترابية فكانت مختلفة في الكونية، كذلك جاءت الطباق السماوية مختلفة اللونية فزرقة، وصُفرة، وحُمرة، وبياض، وخضرة. كل سماء من جنس أرضها، إذ هي من بعضها، فلذلك لما كان أصل السموات أرضياً عنصرياً زالت بزوالها في الآخرة، وبقيت الأفلاك العلوية في أوجها دائرة من غير جُرم محسوس، ولا جسم ملموس، لذلك لا تظهر فيها النجوم، فإن الفلك يبرز بذاته على العموم.

إذْ النجم عبارة عمَّا ظهر في الفلك، فتأمَّل يا أخي هذا الخير الذي شملك. فالأفلاك باقية لبقاء الجنان، والإنسان والسموات فانية بفناء الأرض والحدثان: فتأمل لآلىء الحقائق المرتبطة، والأفلاك الروحانية المتوسطة، ما بدَّلت الأرض غير الأرض، وصارت درّ مكة بيضاء تحت قدم الخفض. فظهور الأفلاك النيّرات، عبارة عن تبدل السموات. فتأمل هذه الإشارات وابحث عمَّا تضمَّنته هذه العبارات.

لؤلؤة نشأ منها مثال برؤية الحق في عالم الخلق

وتجلي الحق سبحانه وتعالى للناطق من الحيوان كتجلي السراب للظمآن، وليس في الكون كله شيء يشبه تجلي الحق على قلوب العباد، من سماء المعرفة سوى هذه الصفة، ألا ترى التجلّي لا يكون إلاّ من أعلى على أدنى، وجعل القيعان دون الجبال محلاً للسراب الأسنى، فانظرها حكمة ما أجلاها، وقطرة مُزْنٍ ما أعذبها وأحلاها.

ثم حجب حقيقة هذا السّر، إذْ نَصَبَهُ تشبيهاً بعمل أهل الكُفْر، ثمَّ نبَّه أهل الإشارة على عظمته عنده في آخر الأمر، فقال حين أنزل عهده، وخاطب عبده:

---

(١) القرآن الكريم، سورة فُصّلت، الآية ١١، مكية.

(٢) القرآن الكريم، سورة فُصّلت، الآية ١٢، مكية.

﴿حتى إذا جاءه لم يجده شيئاً ووجد الله عنده﴾[1]. فستره أولاً بعمل أهل الكفر، ولتوفية الحساب بعده، إذ: ﴿ليس كمثله شيء وهو السميع البصير﴾[2]. ولا يُدْرِك وصفَهُ ﴿وهو اللطيف الخبير﴾[3].

فارفع هذا الطنب، واخرق هذه الحُجُب، تُبصر العجب العجاب، ونشكر القشر الذي صان هذا اللباب.

لؤلؤة التحام اليواقيت وانتظام المواقيت

ولما عهدت الخليقة، وامتدت الرقيقة إلى الحقيقة، وتجسّد في أوَّل النَّشء الترابي الشخص الإنساني الآدميّ المخلوق بيد التنزيه، والمكسوّ حُلَّة التشريف والتنّويه، ويزداد الجسد طوراً بعد طور، وكوراً بعد كور، في قوالب يكثر عددها، ويكبر أمدها، حتى كانت تلك الأطوار في تلك الأدوار نشأة متحدة، وهيئة فردية متجسدة، فلما كملت بنيتها، وتخلصت تصفيتها، نفخ فيها الشخص الروحاني، والكلمة الإلهية، والأمر الرَّبَّاني، فقامت النشأة على ساقها تعتمد، وبأمرها تستمد، وتوالى الدور بالنشأ على أصل البدء. إلى أن سلخ ذلك النهار من ليل أرضه والتحق بعنصره الأعلى، واختلط بعضه ببعضه، وبقي في أوجه الأعلى رقيباً، وعلى تعاقب الأدوار حسيباً، ولنبصرنه على التعيين في مقام التمكين، ﴿ولتعلمُنّ نبأه بعد حين﴾[4]. وهو إذْ ذاك أحكم الحاكمين.

فلمّا ارتفع كما ذكرناه، في الردّ الذي سترناه، لحقت المملكة بالفساد، وعمّ الهلاك جميع العباد، إلى أن جعلت الشمس في حملها بعث شرفها وجدولها، وسطع الدور، ويتنزَّل الأمر فلم يبق ملأٌ أعلى إلاَّ صُعق لذلك التجلّي، ولا بقي رفرف أسنى إلاَّ كان محلاً لذلك التدلّي، فتنزل نور ﴿ليس كمثله شيء﴾[5] في أنبوب ماله مكتنفاً بأردية الصَّوْن، حتى وصل إلى عالم الكون فحلّ الذرى المشرق في برجه، وحصل الرقم المودوع في دَرَجِهِ، فكان ياقوتة حمراء مجوفة لها ياقوتة صفراء، فأودعه، سبحانه وتعالى فيها وختم عليها بخاتم: ﴿إن الساعة آتيةٌ أكاد أُخفيها﴾[6].

---

(١) القرآن الكريم، سورة فُصّلت، الآية ٣٩، مدنية.
(٢) القرآن الكريم، سورة فُصّلت، الآية ١١، مكية.
(٣) القرآن الكريم، سورة الأنعام، الآية ١٠٣، مكية.
(٤) القرآن الكريم، سورة ص، الآية ٨٨، مكية
(٥) القرآن الكريم، سورة الشورى، الآية ١١، مكية.
(٦) القرآن الكريم، سورة طه، الآية ١٥، مكية.

فلمّا التحقت الحقيقتان، والتقت الرقيقتان، زُهِّرت الأفلاك، واعتصمت الأملاك، وظهر الرجوم لمن أراد الهجوم، وتنزل النور الحق، والكلم الصدق، ثم اختلت الياقوتتان في الظلمات، لتعاين الصفراء منها ما غاب عنها من الآيات.

فعندما اجتمعت الصفراء بأختها، كانت لها بنتاً، ثم ارتقت إلى من كانت لها أُختاً، فأكرمت الأم مثواها، وحمدت مستواها، فطلعت الحميراء خلف حجاب الكتم، فإذا هي بنور الختم، فخاطبه بلسان الاستيفاء:

ـ أنا خاتم الأولياء، ومقدم الجماعة الأصفياء.

ـ أنا مكنون حكمتك، وخاتم أُمّتك.

فقال له:

ـ هل لك أن تكون معي وزيراً صدّيقاً؟

فقال:

ـ قد استخلف عتيقاً!

وسال رداءه، فإذا بالصدّيق إزاءه، وشمس المغرب وراءه، ثم فارقه وقد ساقه.

فلما عدمت الأغيار، وتقطعت الأنوار، واتصلت الرقيقة المثلية، بالحقيقة الكُلّية، في أنبوب الزمردة الطينية. سمع صوت وزيره، وصاحب سِرّه وتدبيره، الذي استخلفه خاتم أوليائه، في الحريّ على إنجائه.

ثم كانت أمور في هذا التجلي، لا يتّسع الوقت إلى اقتنائها، ولا يُعطي الحال أيضاً إذاعة أنبائها. فإن القصد في هذا الكتاب إنما هو معرفة الخليفة والختم وتنزل الأمر الحَتْم.

فنقول: فرجع عوده على بدئه في ليله، وإدراك صلاة الصبح مع أهله، فتسود مع ذلك الجسد على أمثاله، مِمَّن تقدم أو تأخر من أشكاله، لما كانت مادة الحقيقة الأصلية، والنشأة البينية إليه من ذاتها، وإلى غيره من صفاتها.

لؤلؤة اعتراض لمن أصاب الصّيْد بالمقراض

ولمَّا كان هذا المنشأ المحمّدي بهذه المنزلة العلية، وكان الأصل الجامع لجميع البرية، وصحّ له المجْدُ الذي لا ينبغي لغيره، وإقامة الحق سبحانه وتعالى في صورة نفعه وضرّه عدلاً وفضلاً، وجمعاً وفضْلاً، وإرادة الحق أن يتم تكرمته حِسّاً، كما أتمّها نفساً.

فأنشأ لها في عالم الحسّ صورة مُجَسَّمة، بعد انقضاء الدورة التي انعطف آخرها على أوّلها، وكانت في وسطها مكملة. وسَمَّى سبحانه وتعالى ذلك الجسم المظهر المكرَّم محمداً،

وجعله إماماً للناس كافة، وللعالم سيّداً، ونطق على ظاهر ذلك الجسد لسان الأمر فقال: (**أنا سيِّدُ ولد آدم ولا فخر**)[1].

ثم نزل لهم مُعَلِّماً فافتقر، وردد فيهم البصر، ونظر. وقال: ﴿**إنما أنا بشر**﴾[2] وذلك لما كُنَّا له مثالاً، وكان لنا تمثالاً. فطوراً تقدّس، وطوراً تجنّس، فهو السابق ونحن اللاحقون، وهو الصادق ونحن المصدّقون.

ولما كانت، أيضاً، صورته الجسدية ختماً لمقام الأنبياء، لا لصورة الإنشاء، كما كان بدءاً لوجود الكون، وظهور العين، فكانت دورة فلكه دورة ملك، والدورة المقدّمة دورة ملك. لعلّك تقول: كيف يتأخر وجود الملك عن وجود المملكة، وهي قد حصلت في ميدان الهلكة، فإلى من كان في ذلك الوقت استنادها، وعلى من قام أمرها وعمادها فها أنا أشفي الغليل، وأوضح السبيل، وأعرفك امتداد الرقائق وتناسب الحقائق.

لؤلؤة امتداد الرقائق من الحقيقة المحمدية إلى جميع الحقائق

ولمَّا أوجد الحق سبحانه وتعالي ـ كما قدّمنا ـ الأفلاك سقفاً مرفوعاً، لأهل السُّفل. ونصب الأرض مهاداً موضوعاً لحُثالة الثقل، فانتشرت عنه (صلى اللّه عليه وسلم) في مستواه في الملأ الأعلى حقائقه، وتكوّنت من أشعة نوره طرائقه، واتصلت بعالم الأرض الموضوع رقائقه، وظهرت فيهم شمائله (صلى اللّه عليه وسلم) وحقائقه لكل حقيقة شِرْب معلوم، [ومع كل رقيقة رزق مقسوم، ولاحظنا تفاضل الرقائق، فوجدناها راجعة إلى تفاوت الخلائق في الحقائق، فكشفنا في مقام من مقام المشاهدة والتعيين، على رقائق الأنبياء والمرسلين، فرأيناها تتنزّل عليهم ـ صلى اللّه عليهم وسلم ـ على قسمين:

- منها ما ينزل بها ملائكة القدمين.
- ومنها ما ينزل عليهم من مستواه مكاشفة عين.

ورأينا مشاركة اتباعهم لهم في هذين التنزّلين، ولكن بواسطتهم لا بالعين، إلاَّ هذه الأمّة، التي قيل فيها إنها ﴿**خير أمّة أخرجت للناس**﴾[3] فإنها تأخذ عنه من غير واسطة ولا التباس، كما أخذ عنه من تقدم من رسول مرسل، أو نبي منزل، غير أن تنزيل الملك قد يفاجئهم وقتاً ما. كما يعمهم بالإلقاء في الأجل المسمى.

---

(١) حديث: «**أنا سيد ولد آدم ولا فخر**». تقدم تخريجه في حديث لواء الحمد بيده.
(٢) **القرآن الكريم**، سورة الكهف، الآية ١١٠، مكية.
(٣) **القرآن الكريم**، سورة آل عمران، الآية ١١٠،مدنية

وأمّا من خُلق جاحداً، وطُبع مُلْحداً، فإن النور المحمدي لمّا ضرب في الأرض شعاعه، وحميت قيعانه وبقاعه، تولّدت بينهما حرارة، وتجسّدت بالنبات.

فتكوّن منها شرارة، ففتق في تلك الشرارة الجن على قسمين: رفع وخفض.

لمّا كانت تلك الحرارة نتاجاً من النور والأرض. ولذلك قال تعالى: **﴿وخلق الجان من مارج من نار﴾**[1].

إشارة إلى اختلاط الأرض بالأنوار، فمن غلب عليه النور في ذلك النتاج كان من الجن اللاحق بالأنوار، ومن غلب عليه الأرض ذلك النتاج كان من الجن اللاحق بالبوار.

فتنزل الرقائق على من طبع كافراً، في أنابيب ذلك النار الشيطاني، وإن كان أصله من النور السلطاني.

و[أمّا العُصاة فتنزل رقائقهم][2] بوساطة ما قدّمناه في الحرارة، لا بواسطة الشرارة.

فكانت رقيقته (صلى اللّه عليه وسلم) في دورة الملك الهالك إلى هلم جرى إلى الأبد أصلاً لجميع الرقائق، وحقيقته ممدَّة في كل زمان وأوان إلى جميع الحقائق. فهو المُمِدّ (صلى اللّه عليه وسلم) لجميع العوالم من أول منشئه إلى أبدٍ لا يتناهى، مادة شريفة مكملة لا تُضاهى.

مُرجانة اللؤلؤة الأولى

حظُّ الإنسان منها انسلاخه عن حقيقته المجرّدة، بمشاهدة حقيقة من أوجده، ففني عن نفسه حين أحاط به نور شمسه في حضرة قُدْسه، فحصل له الإحاطة بالعلم الكلّي تقديراً، وبقي له تأثير الحكم تكويراً، فصاحب هذا المقام لا يعجز عن ما يسأله عنه سائل، وكيف يعجز من أحاط بالعلم الكامل!

فتحصيل العلم عنده ـ عند السائل ـ هو الفرق بينه وبين المتعال، كما أن الفرق بينه وبين عالم الذل والعز عدم الحصر والعجز، وقد يسأل نفسه أو يرى فيعلم ما سكن في الليل والنهار، أو يحرك في الورى، فهذا نعت من حصل في هذا الكشف الأجلي، والمقام السنّي الأعلى، فلا تخدع نفسك بنفسك، ولا تترك الغمايم على شمسك إلاّ إن استسقاك من جدبت أرضه، وتعطل عليه فرضه، وهلك بعضه، فاروه من مُزْنك حتى يستصحبك، فيعلم أن جميع مطالبه فيك، فعند ذلك أرخِ العنان، وقل للريح تزرها ذروراً حتى تبدو الشمس

---

(١) **القرآن الكريم**، سورة الرحمن، الآية ١٥، مدنية

(٢) ما بين المعقوفتين مستدرك على هامش المخطوط (خ) وكتب معه (صح).

للعيان، فإذا أحاط الإنسان بهذا الوصف، وتحقق بهذا الكشف، فليس وراءه عدم ولا وجود، ولا عابد ولا معبود، ولا وراء أولاً إذا قد حصل الوجودين، وتحقق العدمين، وفصل العدم الثالث فصلين، ولم يبق له من العلم سوى حرف العين وانفردت المادة بالميم، واللام بلطف القديم..

فليس في ذلك المقام سوى علم مجرد، وتحقيق قديم ومجدَّد.

مُرجانة اللؤلؤة الثانية

كذلك بعض الخواطر الأُول اللاحقة بالأزل، لا تتصف بالوجود ولا بالعدم، ولا يتضمنها لوح ولا قلم، خطها لو كانت مجملة بالدورة، كالثمر في النواة. لم تتصف بالأين، ولا زالت تتكثر من العين إلى الأين، فمن هنا وقعت الشبهة، والاشتراك بين هذه الخواطر وعيون الأفلاك، وذلك قبل خلق العرش، وفتق الفرش. فقد صحّت المقابلة وعيّنت المماثلة.

مُرجانة اللؤلؤة الثالثة

كذلك إذا خلع الإنسان نعليه، وتجرَّد عن ثوبيه، وزهد في كونيه، حلَّ هذا المحلّ الأسنى، وكان منه كقاب قوسين أو أدنى، ورثاً نبوياً ممن دنا، كل قوس على حسب راميها، وعلى حسب اختلافها في مراميها.

هذا هو مقام الاستواء، وحضرة وتر الأنبياء، فيه ترد عليه مخاطبات التأنيس، وقواعد التأسيس، بعين الاتحاد من غير إلحاد، فتمايل ذاته في ذلك النور، تمايل السراج من وارد السرور والابتهاج.

فكأنه نشوان، أخذ من الراح، فرام الارتياح، ولم يجد السُّرُج، فسمع منه إليه، فتواجد بعضه عليه، فكان عشاقاً لنفسه، توّاقاً لشمسه، فطلعت عليه من فؤاده، وأشرقت أرض بلاده، فتنعّم بعضه في بعضه، لما جادت سماؤه على أرضه.

مُرجانة اللؤلؤة الرابعة

كذلك إذا حصل الإنسان من ذاته في برزخ البرازخ، مقام المجد الشامخ، والعزّ البازخ، مقام المجد فيه تكون ليلة قدره، وكمال بدره، يميز فيه بين الأشياء، ويفصل فيه بين الأموات والأحياء، ويطلع فيه على أهل البلاد والنعماء.

فيه يبرز على أصحابه بالكتابين، بالشمال واليمين:

- فهؤلاء بأسمائهم وأنسابهم في عليين.
- وهؤلاء كذلك في سجّين.

بعدما يحصل له التجلّي العالي، من حضرة المتعالي.

(فهؤلاء للجنّة ولا أبالي، وهؤلاء للنار ولا أبالي)[1].

منه أُنزل القرآن، وفيه يعلق الميزان، وتطايرت صحف الشمائل والأيمان.

في هذا المقام تقوم قيامة الخاصة بذاته، وتقع مسائل العدل في أسمائه وصفاته، فتنطق الجوارح لبعض العارفين، وتبدو الفضائح لأهل التلوين، والمصالح لأهل التمكين.

فيه تُبدَّل سيّئاتهم حسنات، وكراماتهم آيات. فيه يحصل له بعد قيامته، واستواء إقامته: الورث الإنبائي، والمقام الاختصاصي. فنادى في ذلك الانباء الخاص، ألا فانزل إلى القصاص، وعجّل بالأوبة ولات حين مناص.

فمبادر ومتكلّل، ومتملّل، ومتهلّل. في هذه الحضرة ينقلب الوليُّ نبيّاً، والنبيُّ وليّاً، فهي حضرة الخليفة والختم، ومحل الإفشاء والكتم، وإن رغم أنف المنكر، فإنه العائل المستكبر. أخذ بقضاء اللّه، إلاّ إن حصل في مضمار الانتباه، فتنقلب عينه، ويتصل بينه.

فيا حضرة فرق، ويا مقعد صدق ما أعطاه بحق.

مُرجانة اللؤلؤة الخامسة

كذلك إذا طلعت نجوم العلوم من سموات الفهوم، افتقر إليه كل شيء، ولم يفتقر هو إلى شيء. وسبَّحت ذراري صفاته، في أفلاك ذاته، على بروج مقاماته، ومنازل كراماته، فتخلق الأيّام بدورتها، وتثبت الأحكام بكثرتها.

فسبعة سابحة في سبعة لها إقبال في ثمانية وعشرين، ورجعه مقسمة على اثني عشر محلاً، لتصبح اثني عشر شهراً حراماً وحِلاً، فليس إلاّ أربعة أعلام أيامُ، وجُمَعٌ، وشهورٌ، وأعوام.

فالأيام داخلة في الجُمَع، والشهور داخلة في الأعوام، ثم يرجع الكور، ويتوالى الدور. فالذراري جُمَعُه تمامٌ، والمنازل شهور، والبروج أعوام.

- فإن كان يومك الأحد: فإدريسُ جليسُك، فلا تلوي على أحد.
- وإن كان يومك الاثنين: فآدمُ جليسُك، فلا تلوي في برزخ التائبين.
- وإن كان يومك الثلاثاء: فهارون جليسُك، فالزم الاهتداء.

: ويحيى أنيسُك، فالزم العفاف والاكتفاء.

---

(١) هذا الحديث تقدم تخريجه.

ـ وإن كان يومك الأربعاء: فعيسى جليسُك، فالزم الحياة القدسية والبيداء.

ـ وإن كان يومك الخميس: فموسى جليسُك، فقد ارتفع التلبيس، وكملت على كشف الأنس والأنيس، وقد استبشر الملك، وخنّس إبليس.

ـ وإن كان يومك العروبة: فيوسُف صدّيقك جليسُك، صاحب الصفات المعشوقة المحبوبة.

ـ وإن كان يومك السبت: فإبراهيم جليسُك، فبادر بكرامة ضيفك، قبل الفوت.

* فهذه أيّامُ العارفين، وهؤلاء ذراري أفلاك السائرين.

* وأمّا شهورهم؛ فأربعُ جُمع:

فاستمع أيُّها السالك، واتّبع.

ـ فكشفُ جمعتهم الأولى لوحية.

والثانية قلمية.

والثالثة يمنية.

والرابعة علمية.

* وعامُهم: اثني عشر شهراً في كتاب اللّه يوم خلق اللّه السموات والأرض.

فعليك بالانتباه لمحرَّم الحرام: التحريم والتبرّي.

وصَفَر: التّخلي والتحلّي.

وربيع الأول: العرق.

وربيع الثاني: الكشف.

وجُمادى الأولى: المشاهدة.

وجمادى الآخرة: المعرفة الأولى والأخرى.

ورجب: المشهد الأشمخ.

وشعبان: البرزخ.

ورمضان: الصمدية.

وشوّال: عين الماهية.

وذو القعدة: البساط.

وذو الحجّة: الانبساط.

فهذه شهورهم، وهكذا دهورهم.

فشمسهم حياتهم، وزهرتهم بصرهم، وكتابهم كلامهم، وقمرهم عَلَمُهم، فالمقاتل قدرتهم، والمشتري إرادتهم، والمرّيخ سمعهم.

فشمسهم: روحهم.

وقمرهم: أنفسهم.

والجنس: حواسهم.

وترجّلهم: سيرهم في المقامات.

وتأثيرهم: ما ظهر عنهم من الكرامات.

ورجوع دورتهم: نزولهم إلى البدايات بعد النهايات.

لكن النشأة الأخرى، يوم الطامّة الكبرى. فيّمانية، وشمالية في الترحيل. فالترقّي بأسماء خلق لحق، وأسماء حق لخلق، على التحريم والتحليل.

وكسوف يعتري، لكمّل قدْ برى، وأدنى يكشفُ أعلى، لغيب الشهادة على ما خفي وزيادة في قمر النفس ونقص وذلك لتعريج القوس، فخروج من حضرة الحق ودخول، ومُحاق وأفول، ولا يكشف إلاّ التراب، ويتوب اللّه على من تاب.

ويكسف القمر الشمس، في أوجها، إذ دخل برجها، ولولا طلب الاختصار، لأوضحنا هنا من الأسرار ما فيه عبرة لأولي الأبصار.

فانظر إلى هذا الأنموذج في نفسك، واجتهد في ترحيل قمرك في شمسك، واللّه يهدي إلى الطريق الأقوم، والميل الأقوم، والسبيل الأقدم.

مُرجانة اللؤلؤة السادسة

كذلك إذا كان الإنسان في مقام المشاهدة، عُدِمَ القرار، فعنصره النادر، وإن تلطّفت ذاته بكشف الإيماء، وفني عن تأثير الإرادة، وسلطان الأهواء، فعنصره الهواء.

فإن كان في مقام التحقيق بالأسماء، بعد الأسرار والنزول من السماء، فعُنصره الماء.

فإن صمت وهو متكلم، وتبرّأ من العلم وهو معلم، وساوى بين الأقارب والأتراب، وعمّ بخطاب الهداية الأعداء والأحباب، فعُنصره التراب.

مُرجانة اللؤلؤة السابعة

كذلك إذا علم الإنسان أن وجوده سراب، إلى جانب وجوب الوهّاب. ﴿يحسبه

الظمآن ماءً حتى إذا جاءه لم يجده شيئاً﴾[1].

فلولا نفخة الدعوى ما تشبَّه بالماء، فإن ارتقى عن هذا الشكل فسرابُه عبارة عن المثل، وذلك إذا تجلى الحق إلى قلبه في مكنون غيبه، وسطعت أنواره عند التجلّي، فتخيل الظفر به في ذلك التدلي.

فَوُجِدَ الأين تحصره، والعين تبصره، والكيف ينعته، والعقل في التشبيه يمقته، فيرجع بعد الغنى إلى العجز، ويعرف أنه خلف حجاب العز، فحينئذٍ يجد اللّه عنده، فيوفيه عهده، فيحقق رشده.

مُرجانة اللؤلؤة الثامنة

فكذلك من وَسِعَ الحقُّ قلْبَه، فقد استوت شهادته وغيبه، واتّحدت يواقيته، وانعدمت مواقيته. وكان الحق هنا المساوي لعبده، رحمة من عنده.

وهذا هو الفرق بين النبيّ والوليّ، والتِّهاميّ والنجدي، فإن النبي يسري إلى الخلاّق العليّ. والحق يسري إلى الولي. ولا طاقة له على السرى لقوة امتزاجه بالورى، وتثبته بالثرى.

فمن غلبت عليه روحانيته، واستولت عليه ربّانيته سرى إليه سير النبي على البراق العملي. ﴿إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه﴾[2].

والحق يفرّقه ويجمعه. فمن أراد بسط هذه المرجانة ولؤلؤتها على الاستيفاء، فليطالع من كتبنا كتاب (الإسراء) هناك يعرف منزلته، ويكشف مرتبته.

مُرجانة اللؤلؤة التّاسعة

كذلك عالم الشهادة. تمام العوالم، ونكتة العالم. هو مجتمع الأسرار، ومطلع الأنوار، به يصح المجد، وله يحصل الجد، فإن قال قائل: أنا سيد العالم.

فله أن يقول، لأن العقل لم يصح له علم إلاّ بعد المغيب في هذا الجسد، والأفول.

وإن قال: ﴿إنما أنا بشر مثلكم﴾[3] دون زيادة فلا اشتراك في العبارة.

والإنسان في نفسه نسختان، وكذلك له إذا صام فرحتان، فنُسخة إحساسه تفرح

---

(١) القرآن الكريم، سورة النور، الآية ٣٩، مدنية.

(٢) القرآن الكريم، سورة فاطر، الآية ١٠، مكية.

(٣) القرآن الكريم، سورة الكهف، الآية ١١٠، مكية.

بفطرها. ونسخة عقله تفرح بلقاء ربّها. فكان للواحد مثالاً، والآخر تمثالاً. وقد كان ملك الروح موجوداً، أو عالم المُلك مفقوداً، ولكن يلاحظه في أطوار تنقّله من الأصلاب، إلى أوان الانسلاخ منها والانسلات. فمن انسلخ عن صلبه، فقد فاز بلذّة قُربه. ومن تقدم روحه على حسّه فقد حاز حضرة قدسه. ومن دبّر ملكه في عالم الغيب أبرأه اللّه عند وجوده من الغيب والريب. ومن كان آدميَّ الوضع محمديَّ الإسراء، فقد حصل المقامات على الاستيفاء، وكلّمه الجبّار بواسطة الافتقار إلى النار، في حق الأغيار.

كذلك من مشى في حق غيره فقد باء بجميع خيره، فإن مشى في حقّ الحقّ فهو في مقعد صدق.

فتحقق ترشد.

مُرجانة اللؤلؤة العاشرة

وإذا كان العارف أمره متبوعاً، وكلامه مسموعاً، وحصل المشاهدة الغيبية، وحاز الرتبة القطبية، وتاقت إليه الأسرار، وطالع الأنوار من خلف حجاب الأستار، فكانت له كالشمس في مادّتها. وقبلت كل ذات على حسب حقيقتها فإذا حصل في النور تغيير، فذلك راجع إلى محل التكوير.

فكما لا يساوي قبول الجسم الصقيل قبول الدرن للنور المنور والفيض واحد، كذلك منازل القلوب عند فيض المشاهد، فالقلب يرسل نوره، والكون منه ما يكشف حجابه، ومنه ما يَرْخِي ستوره. فالغيب من كون النفس، لا من عين الشمس.

فالإمدادُ: وتريّ، والقبول: شفعي ووتري.

فنور المعرفة كالسراج، ما قرُب منه إلى الفتيلة أظلم، وغاب ما بعد عنه، وارتفع، وسطع، وأنار. وكذلك نور المعرفة ما امتزج منه بعالم الشهادة، قلَّ ضوؤه، وتراكم غمامه ونوؤه، فإن المحل كثيف، ونور المعرفة لطيف. إذ لا يُمازج اللطيف الكثيف وما تعلق منه بالعقل والروح أنار، كذات يوح وبقي على أصله من الجلاء، لما انسلخ من العماء.

وكما أن الفتيلة إذا كان في رأسها دخان مسامت لنور السراج لاصِق به جرى نور السراج في أنبوب الدخان، حتى استقر برأس الفتيلة فتتقد على بُعد، فما ظنك بنور المعرفة من بُعد. كذلك العارف إذا احترق قلبه بالشوق، وصعدت همته إلى جهة فوق، واتصلت بنور معرفة المعروف، ردّها إلى قلب العارف بأسنى معروف، فعاش بها زماناً، وأنار بها أكواناً.

فكما أنَّ السِّراج إذا طلعت الشمس لم يتعدّ ضوء نفسه كذلك نور المعرفة في العارف إذا تجلّى الحق للأعيان وأظهر قدسه أنار الوجود بتجلّيه، وأنار العارف بذلك التجلّي وزاده على الغير، بما أودعه فيه. فهو يُضيء بنورين، ويشهد الحق من جهتين.

وكما أن نور السِّراج أبداً إلى جهة فوق، كذلك نور المعرفة متعلق بالحق، فإن مرّ على السراج هواء تمايل الضوء تمايل النشوان، فإن اشتد عليه الهواء عدم من العيان. كذلك نور المعرفة في العارف، إذا داخله تعلّق بالأكوان تمايل عن الشمائل والإيمان، فإن تعلّق بها تعشقاً عدم من المشاهدة تحقّقاً.

وكما أن السِّراج يُطفيء منه الهواء ما لَحِقَ، ويبقي منه منيراً ما لم يلحق كذلك نور المعرفة، ليس يذهب ذهاباً كُلّياً، ولكن يذهب منه ما تعلق بالخلق، ويبقى منه ما تعلق بالحق.

وكما يفجأُ النَّفخ السِّراج بغتة فيُطفئه، كذلك الخطرة المتفرقة تُطفيء نور المعرفة، ولا تكلؤه. فإن بقي منه دخان، فذلك الهمّة، فسيعود إليه نوره، وهو جالس وإن لم يبق له دخان، فسيكون الفوانق الفارس.

وكما أن السِّراج إذ لم يمدّه الدهن طُفِيء، كذلك نور المعرفة، إذا لم تمدّه التقوى عُدِم.

وكما أن السِّراج إذا لم يتعلق بجسم لم يوجد له عين، كذلك نور المعرفة مع الكون.

وكما أن السراج لا يكون ضوؤه كاشفاً إلاّ من حيث الظلام، كذلك نور المعرفة في الأجسام.

وكما أن السراج لا يُضيء إلاّ من يليه، كذلك نور معرفة العارف لا يستضيء به إلا من يصطفيه ويُدْنيه.

وكما أن السراج لا يستضيء به مَنْ بَعُدَ، كذلك نور المعرفة لا يستضيء به من جحد.

وكما أن نور السِّراج يكشفه البعيد والقريب، وهو في وصفه عجيب، كذلك نور المعرفة يشهد له البعيد في الأفعال والقريب.

وكما أن من حصل في ضوء السراج لا يكشف ما بعد عنه برؤاه كذلك نور المعرفة من قرب منه لا يعرف سواه.

وكما أن السراج يقِد منه أهل الأرض، ولا تنقض ذاته، كذلك نور المعرفة إذا حققت صفاته.

وكما أن السراج ما اتصل منه بالفتيلة اتَّسع، وما بَعُدَ عنها خرج مخروط الشكل،

وسطع. كذلك نور المعرفة إذا تعلق بالأفعال اتسع باتساعها، وإذا تعلق بالحق ضاق ورقَّ لعجزه بمكانها.

وفي السِّراج من الاعتبار ما يضيق عنه هذا الديوان، ولا يبلغ له كُنْه، فكيف لو أخذنا في اعتبار الشمس في هذا المقام، والقمر في حال نقصهما والتمام. أو في كون من الأكوان، لضاق الزمان عن إبراز سرائره للعيان. فليكن من ذلك ما ذكرناه، وليستدل بهذا على ما تركناه. وهذا هو حظ الإنسان من اللؤلؤة العاشرة. قد ذكر بعضه وأجمل معناه لما قصر عنه لفظه.

والله يهدي إلى الحق وإلى صراط مستقيم.

إثبات الإمامة على الإطلاق من غير اختلاق

اعلم

أن الإمامة هي المنزلة التي يكون فيها متبوعاً، وكلامه مسموعاً، وعقده لا يحل، وضرب مُهنَّده لا يُفَل. فإذا همَّ أمضى، ولا راد لما به قضى، حسامه مصلت، وكلامه مصمت، لا يجد المعترض مدخلاً إليه، وإن رام اعتراضاً عوقب عليه. قد أثبتها سبحانه كبرى، وأكبر. وصغرى وأصغر.

فأي منزلة كانت صغرت أو كبرت، جلَّت أو قلَّت. فإن الطاعة فيها من المأموم واحدة، والمخالفة لها فاسدة إذْ قد وقع التساوي في الطريق والاشتراك والحد في الحقيقة، وحكم الإمام على قسمين كما كان الإمام إمامين: ناطق ومصمت نطقاً، وصادق ومودع صدقاً، كالإمام الذي هو الكتاب الصحيح الذي يشهد عليه بالتصريح. فيحكم عليك الكتاب بما شاء كيف شاء، وكذلك قال الصادق المختار: **(فيسبق عليه الكتاب فيدخل النار)**[1].

وكل ملك لا يكون فيه إمام متبع فعما قريب يتجرب ذلك الملك، ويتصدع.

ولهذا توفرت دواعي كل أمّة إلى اتحاد الأئمة، وهكذا جرت الحكمة الإلهية، والنشأة الربَّانية.

فقال الحكيم الخبير: **﴿وإن من أُمَّة إلاَّ خلا فيها نذير﴾**[2].

---

(١) حديث: «**فيسبق عليه الكتاب فيدخل النار**». رواه **أحمد بن حنبل** ٣٨٢/١، ٤٣٠. ورواه **البخاري في بدء الخلق** ٦، والقدر ١، والتوحيد ٢٨، والأنبياء ١. ورواه **مسلم في القدر** ١. ورواه **أبو داود** في السنّة ١٦. ورواه **الترمذي في القدر** ٤. ورواه **ابن ماجه** في المقدمة ١٠.

(انظر: **المعجم المفهرس لألفاظ الحديث**، ٤٠٢/٢).

(٢) **القرآن الكريم**، سورة فاطر، الآية ٢٤، مكية

كل أُمَّة على حسب ما تعطي حقيقتها، وتقبل رقيقتها، فإن اللّه تعالى يقول: ﴿ولا طائر يطير بجناحيه إلاّ أُمَمٌ أمثالكم﴾[1].

فألحق البهائم بالأمم، وحكم بذلك وعمَّ، وكل أمّة في أفقها ناطقة، وفي أوجها عاشقة.

فليس في الوجود جماد ولا حيوان إلاّ ناطق بلسان. لسان ذات لا لسان حال، والقائل بخلاف هذا قائل مُحال. فالحجب كثيفة، والمعاني لطيفة. فلو كشف الغطاء، وزال الاستبطاء لرأيت كل ذات مُسَبِّحة في جنسها، ناطقة في نفسها: ﴿وإن من شيء إلاّ يُسَبّح بحمده﴾[2].

وموفٍ بعهده. ألا ترى أن المؤذن يشهد له مدى صوته فهذا قد عرفنا بحقيقة لغته. وكلام الميّت يسمعه كل حيوان ما عدا الإنس والجان.

وفي كل أُمَّة من هذه الأمم نذير من جنسها، على حسب نفسها، ولا بدّ من إيجاد الإمام المتّبع في الشيء الذي قدم له واتبع. فإن نازعه آخر هلك، وبقي الأول على ما ملك، إلاّ إن ظهر منه نقص في شروط الإمامة، ولم تثبت فيه العلامة، فليعزل من وقته قبل مقته، وليقدم في تلك المنزلة من كانت فيه الشروط على العقد المربوط.

فإمام الأئمة كلها هاديها ومُضلّها.

﴿لو كان فيهما آلهة إلاّ اللّه لفسدتا﴾[3]. فقد قرن الفساد بالاشتراك، وقال: إن بها يقع الهلاك، فلا بدّ من اتحاده في حكم بلاده، فلا سبيل إلى منازعته، ولا مدخل إلى مطالبته، إلاّ كما ذكرت لك من كمال الشروط واستيفائها والوفاء بالحقوق وأدائها، وإمام الصلاة إمام فيها على أركانها ومبانيها، فإذا ركع فاركعوا، وإذا سجد فاسجدوا، ومن رفع قبل الإمام فناصيته بيد الشيطان.

وكذلك القاضي إمامٌ فيما نصب إليه، والقائم إمام فيما قدم عليه، (وكلكم راعٍ)[4] والراعي مسؤول عن رعيته.

فكل إنسان إمام في نفسه، وبيته، وبنيه، والإمام الأكبر المتبع، الذي إليه النهاية والمرجع، وتنعقد عليه أمور الأمّة أجمع، فكل إمام لا يخالف في إمامته، إذا ظهر بعلامته، والكل إمام تحت حكم هذا الإمام الكبير، كما أنه تحت قهر القاهر القدير، فهو الآخذ عن الحق،

---

(١) القرآن الكريم، سورة الأنعام، الآية ٣٨، مكية

(٢) القرآن الكريم، سورة الإسراء، الآية ٤٤، مكية

(٣) القرآن الكريم، سورة الأنبياء، الآية ٢٢، مكية

(٤) تقدم تخريجه.

والمعطي بحق في حق فلا تخذلوه، وانصروه، ووقّروه، وعزّزوه، فإنه إلى هذه المنزلة الشريفة، بقوله تعالى: ﴿**إني جاعل في الأرض خليفة**﴾[1] ولمّا وقع الاعتراض عليه جعل المعترضين سُجَّداً بين يديه، واختص بخزي الأبد، من أبى عن السجود حين بادر من امتثل الأمر وسجد.

وكفى بهذا شرفاً للإنسان، فكيف إذا انضاف إلى هذا كونه على صورة الرحمن، فله الفضل على جميع الوجود بالصورة والسجود.

فبالصورة: صحَّت له الإمامة.

وبالسجود: صحَّت له العلامة.

حيث شهد الحق له أنه علامة.

ولمَّا كان الأمر على هذا الترتيب، وأعطت الحكمة هذا التقريب. كذلك هذه النشأة الإنسانية، والنكتة الربانية، فيها أئمة، كما فيها أمم، أمَّة فوق أمَّة، إذا كان أم الكتاب وحضرة اللباب. والروح الفكري إمام، والروح العقلي إمام، والروح المصور في الروح الخيالي إمام، والروح الوهمي إمام. والحواس أئمة، ولكل إمام من هذه الأئمة أمَّة.

والإمام الأكبر، والنور الأزهر القلب، المقدَّم على عالم الشهادة والغيب، وهو الروح القدسي والإمام الأنسي وإليه الإشارة بقوله (صلى الله عليه وسلم):

(ألا إن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهي القلب)[2].

فإن كان صالحاً فروح قدسي، وإن كان غير ذلك فشيطان غوي، فالرعية على دين الإمام. سواء كان في عالم البسائط أو في عالم الأجسام.

فأمَّا الإنسان هو الذي قال فيه الرحمن: **(ما وسعني أرضي ولا سمائي، ووسعني قلب عبدي المؤمن)**.

حين ضاق عن تجلّيه الأرض والسماء، واستحال عليهما الاتصاف بالأسماء، فصار قلب العارف بيت حق، ومقعد صدق، فقد ثبتت الإمامة جمعاً، وأتى الناس كرهاً وطوعاً.

---

(١) **القرآن الكريم**، سورة البقرة، الآية ٣٠ ، مدنية

(٢) حديث: «**ألا إن في الجسد مضغة...**». رواه البخاري في **الإيمان** ٣٩. ورواه مسلم في **المساقاة** ١٠٧. ورواه ابن ماجه في **الفتن** ١٤. ورواه الدارمي في **البيوع** ١.
(انظر: هامش كتاب **حدائق الحقائق**، بتحقيقنا ٢٤٦).

واعلم

أن المبايعة لا تقع إلاَّ على الشرط المشروط، والعقد الوثيق الموثوق المربوط، كل مبايع على قدر عزمه ومبلغ علمه، فقد يبايع شخص على الإمامة، وفي غيره تكون العلامة، فتصح المبايعة على الصفات المعقولة، لا على هذه النشأة المجهولة، فيمتد عند تلك المبايعة للخليفة الناقص من ظاهر الجنس، الخليفة المطلوب يده من حضرة القدس، فتقع المبايعة عليها، من غير أن ينظر ببصره إليها. ولذلك يقع الاختلاف في الإمام المعيّن لا في الوصف المتبيّن. فعلّ خليفة تجتمع القلوب عليه، ولا سيّما إن اختل ما بين يديه.

فقد صحّت المبايعة للخليفة، ففاز بالمرتبة الشريفة، وإن توجّه اعتراض فلا سبيل للقلوب المراض، المنعوتة بالأمراض.

ولمَّا كان الحق تعالى الإمام الأعلى، والمتبع الأولى، قال: ﴿**إن الذين يُبايعونك إنما يبايعون اللّه يد اللّه فوق أيديهم**﴾[1].

ولا ينال هذا المقام إلاَّ جسم، بعد النبي المصطفى الأعظم، إلاَّ ختم الأولياء الأطول الأكرم، وإن لم يكن من بيت النبي، فقد شاركه في النسب العلوي فهو راجع إلى بيته الأعلى، لا إلى بيته الأدنى.

(١) **القرآن الكريم**، سورة الفتح، الآية ١٠، مدنية.

نُكتة الشرف في (غُرَف من فوقها غُرَف)

وكان وليّي، وفّقه اللّه تعالى، يقول قولاً قياساً شهادة وإحساساً:

ـ لم يكن الختم من بيته مستخرجاً حتى يكون الشرف بالنسب أكمل وأتم للمنصب الشريف، وأفضل.

ولو كحّل، هذا القائل، عينه، وتحقق ما فيه لرأى سلمان (رضي اللّه عنه) مُلحقاً بأهل البيت، ولعرف أن المراد ليس في البيت.

فمن شرف النبي على الوجود ... ختام الأولياء على العقود
على البيت الرفيع وساكنيه ... من الجسم المعظم في الوجود
لو أنَّ البيت يبقى دون ختم ... لجاء اللصُّ يفتك بالوليد
فحقّق يا أخي نظراً إلى من ... حمى بيت الولاية من بعيد
فلولا ما تكون في أبينا ... لما أُمِرت ملائكة السجود
فذاك الأقدسي أمام نفسي ... يُسمى وهو حيٌّ بالشهيد
وحيد الوقت ليس له نظير ... فريد الذّات من بيت فريد
لقد أبصرته خَتْماً كريماً ... بمشهده على رغم الحسود
كما أبصرت شمس البيت منه ... مكان الحقِّ من حبل الوريد
لو أنَّ النور يشرق من سناه، ... على الجسم المغيب في اللحود
لأصبح عالماً حياً كليماً ... طليق الوجه يرفل في البرود
فمن فهم الإشارة فليصنها ... وإلاَّ سوف يلحق بالصعيد
فنورُ الحقّ ليس له خفاء ... على الأفلاك في سعد السعود

رأيت الأمر ليس به تواني — سواء في هبوط أو صعود
نطقت به، وعنه، وليس إلاَّ — وأن الأمر فيه على المزيد
وكوني في الوجود بلا مكا — نِ، دليل أنني ثوب الشهيد
فما وسع السماء جلال ربّي — ولكن حلَّ في قلب العبيد
أردت تمكنا لما تجارى — إليه النّكر من بيض وسود
وهل تخشى الذئاب عليه من قد — مشى في القفر في عقر الأُسود
وخاطبت النفيسة من وجودي — على الكشف المحقق والشهود
أبعد الكشف عنه لكل عين — جحدت، وكيف ينفعني جحودي
فردَّت في الجواب عليَّ صدقا — تضرّع للمهيمن والشهيد
وسله الحفظ ما دام التلقّي — وسله العيش للزمن السعيد
سألتُك يا عليم السرّ مني — عصاماً بالمودَّة في الودود
وأن تبقي عليَّ رداء جسمي — ككعبتكم إلى يوم الصعود
وأن تخفي مكاني في مكان — كما أخفيت بأْسَكَ في الحديد
وتستر ما بدا منّي اضطراراً — كسترك نور ذاتك في العبيد
وأن تُبقي عليَّ شهود عجزي — بتوفيتي مواثيق العهود

وسيبدو لك أمره، ويتَّضح لك سره، ﴿ولا ينبئك مثل خبير﴾[1] فتخلق بالسميع البصير، وتحقق بالعجز والتقصير.

فلنذكر الآن نسختك من هذا الخليفة البيتي الإمام، ثم اختم نسختك من ختم الأولياء الكرام، وبالختم يكون التمام.

(١) القرآن الكريم، سورة فاطر، الآية ١٤، مكية.

النُكتة المؤخرة في الدورة المدخرة

ولمَّا جلَّ غيبي حَلَّ عيبي | على عيني فصَيَّره عديما
وعند شهود ربي حلّ حبي | على قلبي فصيَّره سليما
ولمَّا فاح زهري هبَّ نشري | على نوري فصَيَّره هشيما
ولمَّا اضطر أهلي لاح ثأري | من الرحمن صيرني كليما
ولمَّا كنت مختاراً حبيبا | فكان براق إسرائي كريما
مطيت، ولم أبال بكل أهل | تركت، فعدت رحمانا رحيما
وكنت إلى رحيم البعد نجما | دوين العرش وقّادا رحيما
ولمَّا كنت مرضيّاً حصورا | وكان إمام وقت الشمس ميما
لحظت الأمر يسري من قريب | على ذكر يصيّره رميما
وكنت به لفردِ بعد سِتٍّ | لعام العقد قوّاماً عليما
فلو أظهرت معنى الدهر فيه | لأعجزتَ العبارة والرقوما
ولكنّي سترت لكون أمري | محيطاً في شهادته عظيما
فسُتّرت الأمور بكل كشف | لعين صار بالتقوى سليما

فصل

ولمَّا تكلمنا على الشرف النبوي الأجلى، من طريق البيت الأعلى، حتى نستوفيه في آخر الكتاب، من غير اختصار ولا إسهاب، ولكن بتيسير ألفاظ جزئية تدل على معانٍ كلية.

وصل

كذلك للإنسان نسبتان، وله في العالم منصبان فأشرفَ نَسَبِه، وأعلى منْصِبَهُ؛ أن يُنسبَ

للحقّ لا لوالديه، وأن يقيم سيره أبداً خديماً بين يديه، فإذا صحّت له هذه الرتبة، وفاز بأعلى درجة القربة، وتصرف عن سماع الإذن المتعالي، صح له النسب العالي، فكان إذْ ذاك عبد اللّه بن فلان، أو ما يقتدي به الثقلان.

فصل

ولمَّا قدّمنا شرف البيت الأعلى، إذْ كان الأشدّ والأوْلى، أردنا أن تتميز الرُّتَب بالأخذ في شرف النّسب، الذي يتعلق به الوِرْث الحسّي، والغرض النفسي.

وصل

كذلك صحّ التقدم لعالم غيب الإنسان، على ما فيه من نسب الحيوان، فهو محرّكه ومصرّفه، ومنبهّه، ومعرِّفه. وقد احتجب عن أكثر الناس عالم غيبهم بما ظهر.

فلذلك حُرموا اكتساب اللآلىء واقتناء الدرر، وحيل بينهم وبين ما يشتهون من الأسرار، وضرب بينهم وبين مطالع الأنوار، بظل هذا الجدار، وإن كان له وجود شريف، وسرٌّ لطيف سأنبهك عليه، وأندبك إليه، وأعرّفك أن الورث: ورثان. لما كان العالم عالمان.

- فالورث الأعلى في العالم الأجلى. ورث أسرار وتجليات أنوار.
- والورث الأسنى في العالم الأدنى. ورث استخلاف على أمصار، وتعبد أحرار.

فصل

ولما كانت الشمس لا بدّ لها من تحول مطلعها، وتبدُّل موضعها.

وصل

كذلك لا بد من طلوع شمس حقّك على ظاهر خلقك.

واعلم

أن الشمس لم تزل جارية من المغرب إلى المشرق بنفسها، كما لم تزل جارية من المشرق إلى المغرب بغيرها، غير أن البصر قاصر واللب حائر، ولا بد لها يوماً أن تظهر حركتها، وتعطي بركتها، فمن جاء أجله المسمى ولم تغفر حوبته فقد أغلق باب توْبته وطلعت شمسه من المغرب، ولا ينفعه إيمان ذلك الوقت ما لم يكن آمن، وهو قوي مستبصر، فإن اللّه تعالى يقبل توبة عبده ما لم يغرغر.

فصل

ولما كان هذا الأمر هو الكنز الخفي بالبحر الغربي.

وصل

أشار إلى أن القلب هو المقعد الصدق، ومحل أسرار الحق، هو البحر المحيط، والمعبَّر عنه بالعلم البسيط، عنه تكون المركبات، ومنه تصدر الحركات والسكنات.

فصل

ولمَّا قال: ولا يعرف ذلك الكنز إلاَّ من كان روحاً لا جسماً، وعلَّمه الحق من لدنه علماً، وانبعث من كان كليماً في طلبه ليعرف شرف مذهبه. وأظهر المعروف المحمود في المنكر المشهود، وجاء بثلاثة أفعال، من المقام العال. ففعل إضافة إليه، وفعل إضافة إلى الحق، وفعل شرك في العبارة عنه بين الحق والخلق.

وصل

كأنه أشار إلى أن الإنسان في نفسه البهيمية ملاحظاً لنفسه النباتية، لايتجلى له أمر، ولا يبدو له يسرٌ. فإن ارتقى عن درجة الأجسام، وزال عن عالم الأوهام، والتحق بمقام الإلقاء والإلهام، تعب في طلبه علماء الأحكام، فصار شاهده يطلب غائبه، ليعرف مقاصده ومذاهبه، فإذا وقع عليه قيَّده بشرطه، واستوثق من عقده وربطه فأبدى له من المعاني ما لا ينفر عنه طبعه، ويرده عليه شرعه فيذكره، فيتذكر، وأن اللّه قد أنبأه بصدقه وأخبر. فهذه علوم الأدب والحكمة، وباب التواصل إلى حضرة الرحمة.

فصل

ولمَّا قال: والذي يعرف حقيقة ذلك الكنز، ومحل النجاة والفوز، يقيم جداره، ويسكن داره، ولا يطلب على تعليمه أجراً، ويحدث لمن أنكر عليه منه ذكراً.

وصل

أشار إلى كتمان الأسرار، من حيث، لينظر أهل الإنكار، فيصحُّ منهم الاعتذار، ويُنَبَّأُ بما في طيّ هذه الأخبار.

فصل

ولمَّا قال: فإذا بلغ اليتيمان أشُدَّهما، وتُوفي الأدوار أمدهما، حينئذٍ يظهر الكنز. وتقوم دولة العزّ.

وصل

كأنه يقول: فإذا بلغ الروح العقلي منتهى نظره.

وبلغ الروح الفكري غاية فكره. ووقّت الأدوار الفلكية أربعين إخلاصها. وشركت في ذلك بين تقدمها ومناصها. حينئذٍ جاء الروح القدسي أميراً، واتخذ الروح العقلي وزيراً، والفكري سميراً، والحيواني غريراً.

فصل

ولمَّا قال: وتشرف من الدين أسرّته، وتعقد عليه أرزته، بعد ما تنقضي من الغرب طلوعها، ويظهر العدل، ويكون الفضل، ولكن إلى المشرق رجوعها.

وصل

كأنّه يقول: وإذا كان السّرُّ من القلب طالعاً، فقد كان فيه غارباً، ولكن كان غروبه طلوع ذلك الأفق العلوي، وغروباً عن المقام الإلّي، ثم قد يكون طلوعه من الأفق النفسي، ويكون غروباً عن الأفق العقلي.

فصل

فإذا ظهر الأمر في مجمع البحرين، ولاح السرّ المكتوم لذي عينين.

وصل

كأنه يشير إلى ظهور النكتة الربّانية، في هذه النشأة الإنسانية، فإنه مجمع لبحر لآلىء الكون والأين، والإبرة والعين.

وقوله: لذي عينين. يشير إلى صاحب الصفتين. فمن فهم فاز فوزاً عظيماً وكان بالله عليماً.

فصل

ولمَّا قال: وقام سَمِيُّ النبيّ، وعن يمينه سَمِيُّه الولي، وذلك عندما تنعدم الخاء، وتخط الألف في السماء، ويجري وادي منى، ويظهر الإنسان والماء. وتكون الشمس في الجوزاء.

فإذا استوى الفلك على الجوديّ، و﴿**قيل بُعداً للقوم الظالمين**﴾[١] وقُتِلَ السُّفْيانيّ وكان من الفاسقين، ونادى الأبُ ابنه:﴿**وقيل إنه ليس من أهلك**﴾[٢] ﴿**إني أعظك أن تكون من الجاهلين**﴾[٢].

---

(١) **القرآن الكريم**، سورة هود، الآية ٤٤، مكية.

(٢) **القرآن الكريم**، سورة هود، الجزء الأول والأخير من الآية ٤٦.

وصل

أشار بذلك إلى الورث النبوي، والمقام البرزخيّ، ورفع الحجاب الإلهيّ، في قتل النفساني، وتحصيل المركب الإحساني، على الجودي الأنبائيّ.

فصل

ولمَّا قال: وكانت علامته لأيمن الخد، الحال المكرم الأسود.

وصل

أشار إلى الحجر الأسود الحالك، وكونه يمين الواحد المالك، فمن ثبتت له تلك العلامة، فقد صحّت له الإمامة.

فصل

ولمّا كانت المبايعة لهذا الإمام، بين الركن والمقام، وليس وراءها مرمى لرام.

وصل

كذلك إذا كان واقفاً بين مقام الخلّة، وركن من رام بأضيافه سَدَّ الخِلّة.

الذي قال فيه (صلى اللّه عليه وسلم) في صحيح الخبر: (**رحِمَ اللّهُ أخي لوط، لقد كان يأوي إلى ركن شديد**)[1]. خطاباً لجميع البشر هناك يُوصف بـ: ﴿**عند ذي العرش مكين. مُطاعٍ ثَمَّ أمين**﴾[2].

وينعقد له مبايعة التعيين في الحرم المنيع، والبيت الرفيع.

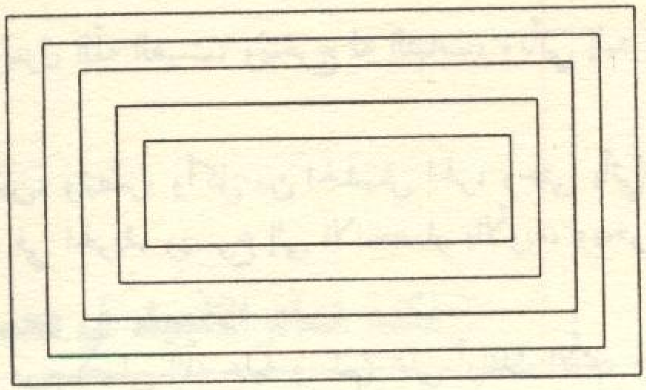
فصل

ولمَّا كان فتح المدينة، التي هيأتُها هكذا:

---

(١) حديث: «**رحم اللّه أخي لوط لقد كان يأوي إلى ركن**». أخرج ابن جرير عن الحسن (رضي اللّه عنه): إن هذه الآية لما نزلت ﴿**لو أنّ لي بكم قوة أو آوي إلى ركن شديد**﴾. قال رسول اللّه (صلى اللّه عليه وسلم) الحديث. وأخرج **البخاري في الأدب**، **والترمذي**، وحسّنه، وابن جرير، وابن المنذر، وأبي حاتم، وأبو الشيخ، والحاكم وصَحّحه وابن مردويه من طريق أبي سلمة عن أبي هريرة.
(انظر: السيوطي: **الدر المنثور**، ٤/٤٥٩).

(٢) **القرآن الكريم**، سورة التكوير، الآيتان (٢٠، ٢١)، مكية.



باب المدينة. بالتكبير والتهليل، وفي مقدم العسكر جبريل (عليه السلام) وقد عطف اللواء المُشْرق نحو بلاد المَشْرِق، ورياح المغرب تُزعجه، وبشائر الفتح تلهجه، والملائكة به حافّون، وعليه ملتقون، وأمامه مصطفّون.

وصل

كذلك إذا فتح العارف مدينته الكبرى بالمجاهدة، والمعاناة، والمكابدة، وارتقى إلى فتح مدينة الرسول (صلى اللّه عليه وسلم) ففتحها بالتهليل والتكبير، وذلك بنزول الروح الأمين، من ربّه على قلبه، بسرائر غيبه، والملائكة من بين يديه ومن خلفه، رصداً.

فحينئذٍ يرجع من حيث جاء مسروراً، وقد ترك بلاده تُعد بوراً.

فتحقق وتخلق، واللّه الموفق.

فصل

ولمَّا قال: وفيه أخذ في هذا الرحيل، فاطوِ بساطك أيُّها الجليل. وسِرْ معه بما معك من كثير وقليل، فإن لم يكن عندك قوة ومال، ولا طاقة بحمل العيال فسِرْ إلى معدن الإمامة، يحثو لك من المال ما استطعت أن تحمله، وذلك أيضاً له علامة مع جلي الجبهة، أقنى الأنف، وسيرته في الملك بين اللين والعُنْف. فاصحب ذلك الرَّكب المحفوظ، المصان الملحوظ، فإنه لا خير فيمن بقي بعده، ولكن الخير أمامه وعنده.

وصل

كذلك العارف إذا نزل روح قُدْسِهِ، إلى فتح مدائن نفسه، ورجع إلى حضرة أُنْسه، لزم الجوارح أن يرجعوا وراءه، ويلازمون تلقاءه، فإن افتقروا استمدوه، وإن غِير عليهم استعدوه.

فصل

وبعد انقضاء هذه الدول يخرج الأعور، وقى رجله فنزل، فيُميت بإذن اللّه فتنة، ويحيي

بإذن اللّه ما أمات، ويُنزل اللّه الغيث، ويُخرج له النبات، وتأتي إليه الأموال، وتنعقد عليه الآمال.

إلاَّ مَنْ آمَنَ، وتحصَّن، وتبصَّر، وأكل من الحشيش الحر، وحتى يأتي أمر الآثر الألد، فيقتله بباب لد، ويظهر دمه في الحربة، ويسرع إلى الانحصار بالأوبة، ويخرج من وراء السد أكثر عدداً، وأقوى مدداً.

فيدعو عيسى ابن مريم (صلى اللّه عليه وسلم) على أولئك الأمم، بعدما لم ينزلوا بالأرض دياراً، وأرسلوا سهامهم إلى الجو ليقتلوا من في السماء، فيردّها عليهم سبحانه وتعالى مخضوبة بالدّماء، فيسلط اللّه عليهم في ليلة داء، في أعناقهم، فيموتون في ليلة إلى آخرهم.

ثم تخصب الأرض، ويكثر الزرع، وتعظم الثمرة، ويُظل الرهط الكبير الشجرة، وتحيا الشريعة المحمدية وتظهر الحقيقة الأحدية، إلى أمدٍ معلوم، وقدر محتوم، وتنفخ دابّة، وتطلع شمس، ولا يقبل عند ذلك إيمان نفس، واللّه يعصمنا من غوائل الفتن، ويصرف عنّا وجوه المِحَن.

نكتة تمام الأنبياء في تعيين خاتم الأولياء

(وهو النسب الأعلى، الذي تقدّم ذكره، في نكتة الشرف. جَهِلَ من جَهِل، وعرف من عرف)

ولمَّا أشار مَنْ إشارتُه علمٌ، وطاعتُهُ غُنْمٌ، وهو الذي يلقي الأمور، ويشرح الصدور، أن أُنبِّه على تعيين هذه النكتة، وأن يأتي بها كالساعة بغتة، وذلك لتوفير داعية، من أذن واعية.

فلا بد من بسطها، وحلِّ ما قوي من ربطها، وما ذكر اللّه في كتابه العزيز من هذا الختم من الأسرار، وما ورد عن النبي (صلى اللّه عليه وسلم) فيه من الأخبار.

وورد الأمر أن أذكر من الكتاب العزيز مقاماته، وآياته، ونُلغز إيضاح أسمائه وصفاته.

فاعلم:

أيَّدك اللّه بكلمِهِ، ووهبك معالم حِكَمِهِ، وأوضَحَ لك سِرَّ قِدَمِهِ.

أن الختم الذي يحمل لواء الولاية، ويكون المنتهى للمقام والغاية، أنه قد كان ختماً لا يُعرف، وكان له الأمر لا يُرَدُّ ولا يُصرف، في روحانية متجسّدة، وفردانية متعددة، ختم أمراً جسيماً فاستتر، وختم أمراً مقاميّاً فظهر، وإن ظهر بعده وليٌّ فليس له المقام العليّ. فإنه من جملة أتباعه، وصحابته وأشياعه.

ألا ترى الأمر الإلهي قد حكم ونفد تقديره، وختم فصيّر من كان نبياً بعدما بعث نبيُّنا (صلى اللّه عليه وسلم) وليّاً، لحُسن الاستماع، وحكم الاتباع. والتحق بالأئمة، وكان من بعض أنوار الهمة.

كذا جرى الحكم في هذا الولي، الآتي بعد هذا الختم العليّ، فليس الختم بالزمان، وإنما هو باستيفاء مقام العيان.

وإن كان لا بد أن يقارن حركة الفلك، هي زمانه، ووقته، وأوانه. فيُنسب إلى الزمان من هذا الجانب.

وهكذا أمره في سائر المراتب.

* * *

إفصاح الكتاب العزيز بمقاماته، والإعلام بأحواله وآياتِهِ

اعلم:

أن اللّه تعالى ذكر هذا الختم المكرَّم، المتبوع المعظَّم، حامل لواء الولاية وخاتمها، وإمام الجماعة وحاكمها، وأنبأ عنه سبحانه وتعالى في مواضع كثيرة، من كتابه العزيز، وتنبيهاً على مرتبته ليقع التمييز.

فإن الإمام المهدي، المنسوب إلى أهل البيت النبويّ لمَّا كان إماماً متبوعاً، وآمراً مسموعاً، ربما اشتبه على الدخيل صفاتهما، واختلطت عليه آياتهما.

وأمَّا عيسى (عليه الصلاة والسلام) فلا يقع في آياته اشتراك، فإنه نبيٌّ بلا ريبٍ ولا ارتباك.

ولمَّا كان الختْمُ والمهدي، كل منهما وليّ، ربما وقع اللبس، وحصل التعصّب لدواعي النفس، فلهذا الأمر الكبار ما نبّه عليه لأهل البصائر والأبصار.

وأمَّا العوام، فليس لنا معهم كلام، ولا لنا بساحتهم إلمام. لأنَّهم مقلّدون لعلمائهم، تابعون لأمرائهم. والأمراء والعلماء يعرفونه، ويقتفون أثره ويتبعونه.

حتى أن عيسى (عليه السلام) ليدركه، فيشهد له بين الأنام أنه الإمام الأعظم، والختام لمقام الأولياء الكرام. وكفى بعيسى (عليه السلام) شهيداً.

وإن وراءكم عقبة كؤوداً، لا يقطعها إلاَّ من ضمر بطنه، وسهّل حزنه.

فموضع نَبَّه عليه سبحانه وتعالى أنه سيظهر على أوليائه ويُنصر على أعدائه، ولذلك فاعلم.

وهذا فصلٌ يحتوي على: مولده، ونسبه، ومسكنه، وقبيلته. وما يكون من أمره إلى حين موته. واسمه، وأسماء أبويه، مِمَّا تضمّنه نصّ القرآن الصحيح، والخبر الواضح الصريح.

* **وأمَّا القرآن العظيم**: فتضمّن ذكره، وذكر أخيه.
* **وأمَّا الخَبَر**: فضمّ ذكره دون أخيه، إلاَّ في موضع واحد، وذكره مع متّبعيه.

وتَتبَّعت مواضع التشبيهات عليه، والتنصيص في القرآن فوجدته كثيراً، لكن على تقاسيم البرهان:

* **فمنها في [البقرة] موضعان:** فيهما علاماته، ومكانته، وآياته.

* **وفي [آل عمران] أربعة مواضع:**

١ ـ الاعتناء قبل وجود عينه، وتقدم شرفه قبل كونه، وآثاره الحميدة، وأفعاله المشهودة.

٢ ـ وإلحاقه بالنقص والحط، والنقض والحل، بعد الشد والربط.

٣ ـ ومسكنه الذي لا تغيره الذاريات، ولا تجهله التاليات.

٤ ـ أوجب التصديق به خالقه، وأودعه في الشرع فائقه.

* **وفي [النساء] أربعة مواضع:**

١ ـ التحق في بعضها بصاحب النور، وتنزَّه في ذاته عن قول الزور، ومناجاته مع إخوانه، وجولاته في ميدانه.

٢ ـ أفرده بالصدق في نطقه، مناسبة بينه وبين خلقه.

٣ ـ جاء حرف تنبيه لا تبعيض، فأبانه، وأظهر للعقول السليمة منزلته ومكانه.

٤ ـ ثم ذكره بما دَلَّ عليه أبو يزيد في مناجاته في سماء التوحيد، وشاركه في أوضح الأسماء، صاحب سورة الإسراء.

* **وفي [المائدة] في ثمانية مواضع:**

١ ـ علمه الراسخ، ومنصبه الشامخ، ونوره الأوضح، وسرُّه الأفصح.

٢ ـ ونُصحُهُ وتحريضه، وتخصيصُه وتحضيضُه.

٣ ـ لاحقه بالعالم الأنقص تصريح النَّص، لتكميل علمه، وتنقيح فهمه.

٤ ـ خاطب الحق عباده على معوّله، كما فعل بأنبيائه ورسله.

٥ ـ وذكّره بالأفعال المغيّبة في العين، وردَّه من عالم البقاء إلى عالم لبس الكون.

٦ ـ طلب الأعلى من المقامات العُلى فأُلحق بالسُّفْلى وبالعدول عن الطريقة المثلى.

٧ ـ اتَّحَدَ سرُّه بربه، تعشّقاً لانسلاخ زمان قُربه.

٨ ـ فأراد الرجوع عن مدركه، والسلوك على منهجه، فنودي في الأعنان، في عرصات الكيان: بلسانك الشرك، والبراءة من الإفك.

فوحّدَ، واستشهد، وسجد للواحد الأحد.

* وفي [الأنعام] موضع:

ـ رتقه رتقاً لا يفتق، وجعله خلقاً لا يخلق.

* وفي [براءة] موضع:

ـ لما وقف على حقيقة شرف نفسه، ناطق بما يسر من جليسه.

* وفي [مريم] موضعان:

توخَّ فساد، وأخمد نار العناد.

* وفي [الأنبياء] موضع:

ـ زكى فتزكى، ونودي فلم يتلكّا.

* وفي [المؤمنين] موضع:

ـ تشاءم فرجع، وأخصب ورتع.

* وفي [الصافات] موضع:

ـ عُرض بأخيه، مع حمله بنيه.

* وفي [الشورى] موضع:

ـ مهَّد له السبيل، وعرف أسباب التنزيل.

* وفي [الزخرف] موضع:

ـ نبَّه على مقامه تنبيهاً لا يرد، ببرهان لا يُصد.

* وفي [الحديد] موضع:

ـ الحقُّ تالياً، فلم يصح أن يكون متلوّاً، وكان صدّيقاً وليّاً فإن النبي هو المتلو لا تالٍ، والولي المولى عليه ليس الوالي.

* وفي [الصف] موضعان:

ـ قيل عنه فقال.

ـ ورد ذنبه فزال المطال.

* وفي [التحريم] موضع:

ـ حرَّم، وأَقَرَّ بالمقام، وسلم.

وأمَّا الخبر الصحيح:

في مثل البخاري ومسلم: فانظروا ما أشار إليه ابن بطّال، وصاحب كتاب «المعلم» إلى غير ذلك من الآيات البيّنات.

وأمّا النبي محمد (صلى اللّه عليه وسلم) فإنّه اجتمع به في الأرض التي خُلق منها آدم (عليه السلام). وفي هذه الأرض من العجائب ما يعظم سماعه، ويكثر استبشاعه. وقد ذكرت هذه الأرض وما فيها من العجائب، وما تحويه من الغرائب في كتاب أفردته لها سميته، بكتاب: (**الإعلام بما خلق اللّه من العجائب في الأرض التي خلقت منها طينة آدم عليه السلام**).

واعلموا أن زمانه أربع من صورة العقود الأُوَل على ما خُطّ له في الأزل.

- فكان العام الأوّل كشَهْر.
- والعام الثاني كجمعة.
- والعام الثالث كيوم.
- والعام الرابع كساعة.

وما بقي من الأعوام، كخطرات الأماني والأوهام. وأنه زائل عن مرتبته بختمه، وظاهر بعلم غيره لا بعلمه، وجار في ملكه على خلاف حكمه، ولولا ظهوره بهذا العلم، وحكمه بهذا الحكم، ما صحّ له مقام الختم، ولا خُتمت به ولاية، ولا كملت به هداية.

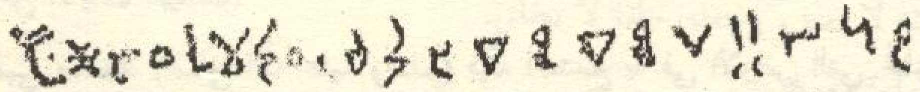
وأنه له حشرين، ولصحبه فخرين، ولوجهه نورين، وفي حفظه علمين، وله عالمين يشركهما في حكم، ويخص أحدهما بحكم، فهو صاحب حكمين.

وهو من العجم لا من العرب، آدم اللون، أصهب، أقرب إلى الطول منه إلى القِصر.

كأنه البدر الأزهر. اسمه: عبدُ اللّه، وهو اسم كل عبدٍ لِلّه، وأمّا اسمه الذي يختصّ به، فلا يظهر فيه إعراب، وينصرف في صناعة الإعراب.

- أوله عين اليقين، وآخره قيومية التمكين.
- ونصف دائرة الفلك، من جهة النصف الذي هلك.
- لا يُدعى باسم سواه، ولا يُعرف أباه.
- [إن وقف قلت سرولة، وإن مشى مشى بين السعي والهرولة.
- رضي القول، شكور الفعل.
- وهذا هو فاعلمه؛

فهذه إشارته(*): انظر الشكل (١).

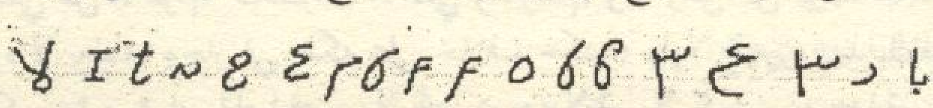


فيما قد وضحت لك فيه الدليل، ومهدت لك السبيل،
وأغلقت عليك بالنص باب التأويل، وعينته لك باسمه ونسبه.



فها أنذا قد أوضحت لك فيه الدليل، ومهَّدت لك فيه السبيل، وأغلقت عليك بالنصّ باب التأويل. وعيّنتُه لك باسمه، ونسبه، وسره الشريف، ومنصبه، وأن الصدّيق الأكبر تحت لوائه، وأنه سيد الأولياء، كما أن سيدنا محمد (صلى اللّه عليه وسلم) سيد الأنبياء، وإن شئت أوضحته لك في العدد، وأقسم لك بهذا البلد].

وما تضمَّنه نص القرآن الصريح، والخبر الوارد الصحيح(**): انظر الشكل (٢):



إنه للسيد الصمد، فانظره في ثلاثين عدد.

وكُنْ لشيطان جهلك شهاباً رصداً، فإن لم تقو على التفسير، فعن قريب يأتيك بقميصه البشير، فيكشف كروبك، ويرتد بصيراً يعقوبك، هو شفعي في خُلُقه، وشطرٌ من جهة خُلقه وحقه. فانظر هناك تجده أباك.

وأمَّا الختم في حق الإنسان:

فهو عبارة عن المقام الذي ينتهي بك إليه، ويوقف بك لديه، وكل سالك حيث وصل، ومقامه حيث نزل، فتوقف عنده، ويظهر العارف لنا حده. ولكن ختم المقامات التوحيد، وأسرار الوجود في مزيد.

(*) هذا الشكل المرفق تمّ نقله من النسخة المطبوعة لخلوّ المخطوطة منه.
وقد أورد المخطوط شيئاً آخر في موضع لاحق.

(**) هذه الأحرف الموجودة هي هكذا بالمخطوط، ويبدو أن الناسخ صنعها هكذا. لذا أوردنا ما كان بالمطبوعة لعدم ارتياحنا لهذه الإشارات وإن كنّا قد أوردناها لإثبات ما في المخطوط. المحقق.

اللؤلؤة اللاّحقة بالياقوتة السابعة

ولمَّا كانت القطوف دانية، في انعطاف القرون الثلاثة المتوالية، وكان قطف فوق قطف، وعطف فوق عطف، انتهى الأمر، وقيل: ما بقي خير، ولا ميْر.

واستمسكوا بحديث النبي (صلى اللّه عليه وسلم) حين بلّغهم عنه، أنه قال: **(ما ينقضي زمان، إلاَّ والذي بعده أشرَّ منه)**[1].

وغفلوا عن القرن الرابع، الآتي بعد الثلاثة، الذي هو زمن المهدي، والخاتم الولي، ونزول عيسى النبيّ.

وذلك أنه لما انتهت القرون الثلاثة، ودخل صَفَر، ظهر الفساد في البشر، وتوالت أدوار النحوس في الأكر. إلى أن دخل رجب الفَرْد، الملحق بأول الثلاثة السَّرْد، فالتحق بأصحابه، وتميَّز في أترابه، والتحمت القرون، بظهور السرّ المصون.

ولمَّا كان ذو الحِجَّة وسط الثلاثة المحرَّمة، فكان من أعظم الشهور المعظمة، وكان شهر ضمان التبعات، والمغفرة لأهل عرفات، فهو الأول بالفضلية، وهو الوسط بالدورة الزمانية، والحكم الاصطلاحية، فخُذْ روحانيته في التقديم، وذلك من باب الحكمة لا التحكيم. فهو الأول وإن كان وسطاً. ولم أقل في ذلك شططاً.

ثم لمَّا كان الترجيب التعظيم، التحق الآخر بصاحب التقديم، وهو الأصب والأصم، الملحق بالثلاثة الحُرُم. لكن أقوى ما تقدم عليه الحُجَّة، إلحاقه في التعظيم بذي الحِجَّة. وقد يكون الآخر بالجسم، يتقدم الأول في الحُكْم. ألا ترى النبي (صلى اللّه عليه وسلم) مؤخراً في النشأة الدنياوية، مقدماً في النشأة الأخراوية. وإذا صحَّ التقدم، فالتساوي أخرى، وبهذا أجْري في هذا المجرى. ألا ترى نص الرسول (صلى اللّه عليه وسلم) لأصحابه عنكم: **(للعامل منهم أجر سبعين منكم.**

فقالوا: بل منهم.

فقال: **بل منكم)**[1].

فأكّد في العطف التفاضل في النطق.

---

(١) حديث «**ما ينقضي زمان، إلاَّ والذي بعده أشرُّ منه**» رواه **البخاري في صحيحه** ج٨ ص٨٩. ط١. دار الفكر بيروت. **والهيثمي في مجمع الزوائد** ج١ ص١٨٠ ط١ دار الكتب العلمية. **والمناوي في فيض القدير شرح الجامع الصغير** ج٥ ص٦٢٠ حديث ٨٠٥٨ دار الكتب العلمية، بيروت.

(٢) حديث: «**للعامل منهم أجر سبعين**». تقدّم تخريجه أول الكتاب.

فانظر إلى عظيم هذا البذل، وعميم هذا الفضل.

فإن احتج عليك هذا الخصم الضعيف بمفاضلة هذا المُدّ والنّصيف. فاعلم:

أن للمفاضلة أبواباً، وأن لها عند المفضّل أسباباً. إذ هي راجعة إلى الزيادة والنقص، بالحكم الاصطلاحي والنّص. فقد فضَّل الواحد صاحبه بتكليم اللّه له. وفضّل الآخر بالإحياء للموتى، وإبراء الأكمه والأبرص.

وإذْ قد صحَّ القول، وتبين التساوي، فقد فضلونا من غير الجهة التي فضلناهم، وعرفونا بغير الدليل الذي عرفناهم، وقد يقع الاشتراك بيننا في الصفة، ونجتمع في بعض مراتب المعرفة.

فإذا تحققت هذا التفضيل، فقد فتح لك في التفصيل، وساغ لك التأويل.

ولما كان ذو الحِجَّة أوان الفضل والتّعيين، حملنا ما بعده من الشهور على المئين من السنين. فكان طلوعه بعد انقضاء الخاء، من حروف الهجاء.

وكان ميلاده بعد انقضاء الصاد والباء، بعد ميلاد الإنشاء، وانتظام الأجزاء.

ولعل الناقد ينقد السابع في العلم، فقل له ذلك أوان الحُكم، في دولة العز بظهوره، وعند انقضائه، وجود ختم أوليائه، عند فناء العدد الوتر، المذكور في الشّعر(*).

والله أعلم بالصواب

تمَّ الكتاب

هذه هي القصيدة التي أوردها هذا المخطوط. وهي المقصودة بأن فيها العدد الوتر، المذكور في الشعر:

عَجِبْتُ لِوُجُودٍ حَوى كُلَّ صُورَةٍ ... مِنَ المَلأ الأَعْلى والجِنّ والبَشَر
وَمِنْ عَالَمٍ أَدْنَى ومِنْ عَالَمٍ عَلاَ ... وَمِنْ حَيَوانٍ كَانَ نَبتٌ أو حَجَرْ
وَلَيْسَتْ سِوَاهُ، لاَ، وَلاَ هِيَ عَيْنُه ... وَفِي أيِّ شَيءٍ شَاءَ من صُورةٍ حَضَرْ
وَيَبْدُو إِلى الأَبْصَارِ مِنْ حَيْثُ ذَاتِه ... وَيَخْفَى عَنِ الأَلْبَابِ ذَاكَ وَيَسْتَتِرْ
فَتَجْهَلُه الأَلْبَابُ مِنْ حُكْمِ فِكْرِها ... وَتُظْهِرُه الأَوْهَامُ لِلسَّمْعِ والبَصَرْ
هُو الحيُّ لَكِنْ لاَ حَيَاةَ بِذَاتِهِ ... تَقُومُ كَمَا قَامَتْ سَائِرُ الصُّوَرْ
فَمَنْ هُوَ خَيْرٌ فِي الذي قَدْ ذَكَرْتُه ... بِمَا قَدْ وَصَفْنَاهُ، وَتَرْمِي بِهَا الفِكَرْ
فَمَا هُوَ مَخْفِيٌّ وَلَيْسَ بِغَائِبِ ... وَهَا هُوَ مَنْظُورٌ، وَيَخْفَى عَنِ النَّظَرْ

(*) هنا نهاية النص فعلاً ولكن النسخة المطبوعة لم تورد القصيدة التي أوردتها نسختنا المخطوطة. لذا فقد أثبتناها من المخطوطة وحدها.

فَيَا لَيتَ شِعْرِي هَلْ سَمِعْتُم بِمِثْلِهِ ... أَلاَ فَاخْبِرُونِي أَن هَذَا هُوَ العِبَرْ

وَمَا يَدْرِي مَا جِئْنَا بِهِ غَيْرَ وَاحِدٍ ... هُوَ اللَّهُ لاَ تَدْرِي بِهِ سَائِرُ الفِطَرْ

وَمَا مِثْلُهُ إِلاَّ شُخَيْصٌ وإِنَّنِي ... عَجِبْتُ لَهُ مِنْ كَامِلٍ، وَهُوَ مُخْتَصَرْ

تمّت وبالخير عمّت

أ ب ت ث ج ح خ د ذ ر ز س ش ص ض ط ظ ع غ ف ق ك ل م ن ه و لا ي

لنعيم بن حماد: ويقوم المهدي في سنة مائتين. (الحديث).

وأخرج نعيم أيضاً، عن جعفر قال: يقوم المهدي في سنة مائتين. (الحديث). وهذا يدل على أن مدة هذه الأمة تزيد على ألفٍ بنحو أربعمائة سنة تقريباً. (رسائل إمام سيوطي).

قال الشيخ الأكبر في جفره الجامع: يظهر العنقاء في ثلاث بعد المائتين(*).

وقال الشيخ الأكبر:

الكون مقامكم وأنتم ذات ... والحق شمس وأجمعكم ذرّاتُ

الجملة فيكم وأنتم فيها ... أنتم لهم، وهم لكم مِرآةُ

قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): (**الأئمة من بعدي اثنا عشر نقيباً، أولهم وآخرهم المهدي، الذي يفتح الله على يديه مشارق الأرض، ومغاربها**)[1].

قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): (**لا تنقطع الليالي والأيام، حتى يبعث الله رجلاً من أهل بيتي، يواطئ اسمه اسمي، يملأ الأرض عدلاً**)[2]

صدق رسول الله (صلى الله عليه وسلم)

قال ابن سينا في سؤال الشيخ السعيد الخير.

أبي سعيد بن أبي الخير، قدّس الله سرّه العزيز، وهو قوله:

قال: إن المبدأ الأول مؤثر في جميع الموجودات على الإطلاق، وإحاطة علمه بها سبب وجودها حتى لا يعزُب عنه مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء.

نِعْمَ ما قال رح من كنز المراتب

(*) هذه الأحاديث والإشارات كلها ليست من النص وإنما هي زائدة عليها أوردتها لأنها تعليقات القدماء على النسخة المخطوطة ومن هنا كانت أهميتها لنعلم كيف كانوا ينظرون إلى الأمر.

(1) انظر **كشف الغمة** ج٣ ص ٣١٢ عن ابن عباس مع اختلاف يسير في اللفظ، دار الأضواء، بيروت.

(2) انظر **صحيح ابن حبان** ج١٥ ص٢٣٧، تحقيق شعيب الأناؤوط. ط. مؤسسة الرسالة. **والمعجم الأوسط للطبراني** ج٢ ص٥٥. تحقيق إبراهيم الحسيني. ط١ دار الحرمين.

دعاء الاستخارة

اللّهمَّ إني أستخيرُك بعلمك، وأستقدرُك بقُدْرتك، وأسألك من فضلك العظيم، فإنَّك تقدر، ولا أقدر، وتعلم ولا أعلم، وأنت علام الغيوب. اللّهم إن كنت تعلم أن هذا الأمر خيرٌ لي في ديني ومعاشي وعاقبة أمري، وعاجله وآجله؛ فأقدره لي، ويسّره لي، ثم بارك لي فيه. وإن كنت تعلم أن هذا الأمر شَرٌّ لي في ديني ومعاشي وعاقبة أمري وعاجله فاصرفه عني، واصرفني عنه وأقدر لي الخير حيث كان ثم أرضني به.

تمت

لا إله إلاَّ اللّه وحده لا شريك له، له الملك، وله الحمد، يحيي ويميت، وهو حيٌّ لا يموت بيده الخير، وهو على كل شيء قدير.